مفاخرة السيف والقلم

بين ابن برد الأصغر ت نحو ٤٤٠هـ والقلقشندي ت٨٢١هـ

" دراسة موازنة "

بقلم الدكتور

إسلام ربيع السعيد عطية

مدرس بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة دمياط

جمهورية مصر العربية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الأول (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مفاخرة السيف والقلم

بين ابن برد الأصغر ت نحو ٤٤٠هـ والقلقشندي ت٨٢١هـ " دراسة موازنة"

إسلام ربيع السعيد عطية

قسم اللغة العربية بكلية الآداب ـ جامعة دمياط ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : Islam_ra@du.edu.eg

الملخص

تقيم هذه الدراسة موازنة بين مفاخرتين لأديبين كبيرين: أحدهما أندلسي هو ابن برد الأصغر، والآخر مشرقي هو أبو العباس القلقشندي. وتعد المفاخرتان بمنزلة مرآة عاكسة للواقع السياسي والاجتماعي المعيش في ظل ملوك الطوائف في الأندلس ٤٢٢-٤٨٨ه، وعصر المماليك في المشرق ٦٤٨-٩٢٣ه، حيث تصوران ما تعانيه الطبقة المثقفة في هذين العصرين، وتصوران الصراع بين أرباب السيف الذين ينظرون إلى طبقة الأدباء وأهل الفكر نظرة احتقار وانتقاص، ويرون أنفسهم أحق بالسلطة، في حين يرى أصحاب القلم أنهم أهل لذلك؛ لما يتمتعون به من رؤية صائبة، وثقافة عالية، وتأثير فعَّال وقوي في توجيه المجتمع والعمل على رقيه.

ولم يشأ الكاتبان أن يبينا وينبها تنبيهًا مباشرًا إلى ما حلّ بالكُتّاب وأهل الفكر من جور وغبن في هذين العصرين، فنحى كل منهما منحى رمزيًا؛ ليشيد بفضل أرباب القلم في بناء الدولة، وإدارة أمورها جنبًا إلى جنب مع أصحاب السيف، فهما وجهان لعملة واحدة، ولا تقوم الدولة على أحدهما دون الآخر.

ومفاخرتا: ابن برد الأصغر وأبي العباس القلقشندي -في الأصل- رسالة توجه بها الكاتبان إلى ممدوحيهما، ومن ثَمَّ فدراستنا لمفاخرة السيف والقلم تستوجب الوقوف عند: المرسِل، والمُرسَل إليه، والعلاقة بينهما، وأثر هذه العلاقة في المفاخرتين، ثم دراسة مضمون المفاخرتين؛ للوصول إلى خصائصهما الموضوعية والفنية الجمالية، وإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، وقد ناسب ذلك أن تكون الدراسة في: تمهيد، وثلاثة مباحث.

الكلمات المفتاحية : المفاخرة، السيف والقلم، ابن برد، القلقشندي، الأدب الأندلس .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

٨٦٠

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

The Sword – Pen Boast between Ibn Burd al-Asghar, about 440 AH, and Al-Qalqashandi, 821 AH

Islam Rabie Al-Saeed Attia

Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Damietta University, Arab Republic of Egypt

Email: Islam_ra@du.edu.eg

Abstract

This study compares two boasting letters of two great writers: one is an Andalusian, Ibn Burd al-Asghar, and the other is oriental, Abu al-Abbas al-Qalqashandi. The two boasting letters are a reflection of the political and social reality lived under the rule of Melouk Al Twaef in Andalusia 422-488 AH, and the Mamluk era in the East 648-923 AH. The two letters depict the suffer of the educated class in these two eras, and show the conflict between sword masters who look at the class of writers and intellectuals with contempt and disdain, and see themselves as more deserving of power, while pen masters see that they are more deserving, because they have the right vision, high culture, and an effective and powerful influence in guiding society and working on its advancement.

The two writers did not want to directly point out to the injustice the writers and intellectuals were subjected to in arc of the two eras. Thus, they turned to a symbolic direction to praise the virtues of pen masters in building the state and managing its affairs side by side with sword masters, showing that both parties are two sides of the same coin, and the state can't be not based on one without the other.

The two boasting letters of Ibn Burd al-Asghar and Abu al-Abbas al-Qalqshandi are originally two letter that the two writers addressed to their praisers. Therefore, our study of sword – pen boast by the two writes requires us to look at: the sender, the recipient, the relationship between them, and the impact of this relationship on the two boasting letters; and then to study the content of the letters to understand their objective, artistic and aesthetic characteristics; and to highlight the points of agreement and difference between them. Thus, it was appropriate for the study to be divided into a preface, and three sections.

Keywords: Boast, sword and pen, Ibn Burd, Al-Qalqashandi, Andalusian literature.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أعزّ السّيف وشرّف القلم، وأفردهما برتب العلياء فقرن لهما بين المجد والكرم، والصلاة والسلام على نبينا الأكرم المبعوث رحمةً للعرب والعجم، وبعد

فمن المعلوم في التراث العربي أن السيف رمز القوة والسلطة، والقلم رمز العلم والحكمة، وكثيرًا ما وردا مقترنين في التراث الأدبي، ويُقال لهما معًا: الأقطعان[١] والمُرْهفان[٢]، والمُرْشفان[٣]، والصنعين[٤]، والماضيان[٥].

---

(١) قال أبو حيان التوحيدي: " سألت ابن الخليل عن مثنيات... فقلت: فما الأقطعان؟ قال: السيف والقلم". البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي ت نحو ٤٠٠هـ، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر – بيروت، الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ج٦ص١٩٢

(٢) قال حبيب الطائي: (البسيط)

لولا مناشدة القربى لغادركم *** حصائد المرهفين: السيف والقلم

العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤٠٤هـ، ج٤ص٢٧٨

وقال البارودي: (البسيط)

تَأْبَى لِيَ الضَّيْمَ نَفْسٌ حُرَّةٌ وَيَدٌ *** أَطَاعَهَا الْمُرْهَفَانِ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ

ديوان محمود سامي البارودي ت١٩٠٤م، حققه.علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، ١٩٨م،ص٦٠١

(٣) قال السري الرفاء: (البسيط)

للّهِ أيُّ حِمَامٍ قَلَ مَضربُهُ مَضَارِبَ *** المُرْشَفَين السَيْفِ وَالقَلَمِ

الدر الفريد وبيت القصيد : محمد بن أيدمر المستعصمي ت ٧١٠ هـ، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م، ج٨ ص٣٤٤

(٤) ورد في النكت العصرية: (البسيط)

اللابس الفجر لم تنسج غلائله *** إلا يد الصنعين السيف والقلمِ

النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية: عمارة بن علي بن زيدان الحكمي ٥٦٩هـ، اعتنى بتصحيحه: هرتويغ درنُبرغ، مطبعة مَرْسَوْ بمدينة شالَوْن – باريس، ١٨٩٧ م، ص٣٣

(٥) ورد في الطراز: (البسيط)

يا من له الأطيبان المجد والكرم *** ومن له الماضيان السيف والقلم

الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلويّ ت ٧٤٥هـ، المكتبة العنصرية، بيروت، الأولى، ١٤٢٣ هـ، ج٣ص٥١

وعلى الرغم من كثرة ورودهما مقترنين في النصوص الأدبية فإن بينهما صراعًا ونزاعًا خفيًّا يستلزم الغوص في معاني هذه النصوص؛ للكشف عن خبايا هذه الصراع وخفاياه، وما يرمز إليه، وما يعكسه، ومن ثَمّ تناول الأدباءُ المفاخرةَ بين السيف والقلم، وأجروا القول فيها.

وللشعراء المشارقة فضل السبق في المفاخرات الشعرية بين السيف والقلم، ثم تبعهم في ذلك إخوانهم الأندلسيون، **ثم نقل الأندلسيون المفاخرة بين السيف والقلم من المنظوم إلى المنثور**، ويُعد أبو حفص ابن برد الأصغر الأديب والكاتب الأندلسي صاحب المبادرة في نقل المفاخرة بين السيف والقلم من سياقها الشعري إلى سياقها النثري[١] في لبوس قصصي سردي فريد من نوعه لم يكن له نظير في النثر المشرقي، ثم سار على دربه كثير من الأدباء المشارقة منهم:

- عمر بن المظفر ابن الوردي ت ٧٤٩ه
- محمد بن محمد بن نباتة المصري ت ٧٦٨ه[٢]
- أبو العباس القلقشندي ت ٨٢١ه

وتأتي هذه الدراسة الموسومة بـــ **(مفاخرة السيف والقلم بين ابن برد الأصغر ت نحو ٤٤٠ه والقلقشندي ت٨٢١ه دراسة موازنة)**؛ لتقيم موازنة

---

(١) قال عنه الحميدي: " أبو حفص الكاتب.. له: رسالة في السيف والقلم، والمفاخرة بينهما، وهو أول من سبق إلى القول في ذلك بالأندلس"(١). جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: محمد بن فتوح الحَمِيدي ت ٤٨٨هـ، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، ١٩٦٦ م، ص١١٥

(٢) يُنظر: مناظرتان بين السيف والقلم: تحقيق. هلال ناجي، مجلة المورد العراقية (عدد خاص عن الفكر العسكري عن العرب)، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، شتاء ١٩٨٣م.

بين مفاخرتين لأديبين كبيرين: أحدهما **أندلسي** هو ابن برد الأصغر، والآخر **مشرقي** عاش في عصر **المماليك** هو أبو العباس القلقشندي.

وتعد المفاخرتان بمنزلة مرآة عاكسة للواقع السياسي والاجتماعي المعيش في ظل **ملوك الطوائف** في الأندلس ٤٢٢-٤٨٨ه، وعصر **المماليك** في المشرق ٦٤٨-٩٢٣ه، حيث تصوران ما تعانيه الطبقة المثقفة في هذين العصرين، وتصوران الصراع بين أرباب السيف الذين ينظرون إلى طبقة الأدباء وأهل الفكر نظرة احتقار وانتقاص، ويرون أنفسهم أحق بالسلطة، وأصحاب القلم الذين يرون أنفسهم أهلًا لذلك؛ لما يتمتعون به من رؤية صائبة، وثقافة عالية، وتأثير فعَّال وقوي في توجيه المجتمع والعمل على رقيه.

ولم يشأ الكاتبان أن يبينا وينبها تنبيهًا مباشرًا إلى ما حلّ بالكُتّاب وأهل الفكر من جور وغبن في هذين العصرين، فنحا كل منهما منحًا رمزيًا؛ ليشيد بفضل أرباب القلم في بناء الدولة، وإدارة أمورها جنبًا إلى جنب مع أصحاب السيف، فهما وجهان لعملة واحدة، ولا تقوم الدولة على أحدهما دون الآخر.

وهذه الدراسة مسبوقة بدراسات أخرى ذات صلة بهاتين المفاخرتين، منها:

(١) رسالتان لأحمد بن برد الأصغر[١]: فرناندو دي لاجرانخا، وهذا البحث لا يتجاوز خمس عشرة صفحة تناول ترجمة ابن برد، والتعريف بشعره ونثره، ثم التعريف برسالتيه: السيف والقلم، والنخلة.

---

(١) رسالتان لأحمد بن برد الأصغر: فرناندو دي لاجرانخا، ترجمة. عبد اللطيف عبد الحليم، مجلة المورد العراقية، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، ربيع ١٩٨٨م. ويجدر القول: إن هذا البحث أعاد ترجمته الدكتور. مراد حسن عباس، ونشره في مجلة طيور الحرية، مجلة إقليمية تصدر عن وزارة الثقافة المصرية، فرع الإسكندرية.

(٢) الحجاج وآلياته في المناظرات الأدبية بالأندلس (السيف والقلم نموذجًا)[١]، تقع هذه الدراسة في فصلين: أحدهما تناول تعريف الحجاج والمناظرات، والآخر تناول الآليات الحجاجية اللغوية والبلاغية في المناظرة.

مناظرة السيف والقلم في ثلاث رسائل تراثية " دراسة أدبية "[٢]، مادة هذه الدراسة تناولت –بإيجاز– مناظرة السيف والقلم عند: ابن الوردي، وابن نباتة المصري، والقلقشندي .

ولكن –بعد البحث والاستقصاء– لم يقف الباحث على دراسة جمعت بين مفاخرتي: ابن برد والقلقشندي، في محاولة لإثبات سبق الأندلسيين في هذا الشأن، فضلًا عن أن تناول هذه الدراسة لهاتين المفاخرتين يختلف شكلًا ومضمونًا عن الدراسات السابقة.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها:

(١) الوقوف على علاقة السيف بالقلم في التراث العربي، وتحليل هذه العلاقة، وكشف دلالتها الرمزية، وفحص أنساقها السياسية والاجتماعية من خلال هاتين المفاخرتين.

(٢) التعريف بالمُرْسِل والمُرْسَل إليه في هاتين المفاخرتين، وبيان العلاقة بينهما وأثرها في الخطاب المتضمَّن في المفاخرتين.

---

(١) الحجاج وآلياته في المناظرات الأدبية بالأندلس (السيف والقلم نموذجًا): أمنية شكشاك وسارة بن حميمد، ماجستير، جامعة محمد الصديق بن يحيى، الجزائر، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

(٢) مناظرة السيف والقلم في ثلاث رسائل تراثية " دراسة أدبية " جابر بن بشير المحمدي، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، المجلد ٢٨، العدد الأول، ٢٠١٥م

(٣) الموازنة بين مضمون المفاخرتين وخصائصهما الفنية، وإبراز مدى تأثر المشارقة بالأندلسيين في هذا الفن.

ومفاخرتا: ابن برد الأصغر وأبي العباس القلقشندي –في الأصل– رسالة توجه بها الكاتبان إلى ممدوحيهما، ومن ثَمّ فدراستنا لمفاخرة السيف والقلم تستوجب الوقوف عند: المرسِل، والمُرسَل إليه، والعلاقة بينهما، وأثر هذه العلاقة في المفاخرتين، ثم دراسة مضمون المفاخرتين؛ للوصول إلى خصائصهما الموضوعية والفنية الجمالية، وإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، وقد ناسب ذلك أن تكون الدراسة في: تمهيد، وثلاثة مباحث.

- **التمهيد:** علاقة السيف بالقلم في التراث الأدبي
- **المبحث الأول:** علاقة المرسِل بالمرسَل إليه وأثرها في المفاخرتين
- **المبحث الثاني:** البنية الشكلية للمفاخرتين (المقدمة – المضمون – الخاتمة)
- **المبحث الثالث:** أوجه المشابهة بين مفاخرة ابن برد ومفاخرة القلقشندي

ومنهج هذه الدراسة ينبثق من رؤية كلية تستعين بأكثر من منهج في دراسة المفاخرتين وتحليلهما، والتعمق في دلالتهما الموضوعية، وأبعادهما الجمالية، والتاريخية، والاجتماعية، كالمنهج الجمالي، والتاريخي، والاجتماعي وصولًا إلى الموازنة بينهما، واستخلاص أوجه الشبه بينهما.

وهذا ما تيسر إيراده، وتهيّأ إعداده

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

تمهيد

علاقة السيف بالقلم في التراث الأدبي

كثيرًا ما ورد السيف والقلم مقترنين متلازمين في التراث العربي، ومن ذلك قول أبي هلال العسكري: (البسيط)

تميلُ كفيّ من سيفٍ إلى قلمٍ والعزُّ نصفانِ بينَ السيفِ والقلمِ[١]

وقول الشريف الرضي مادحًا: (البسيط)

أَقَامَ سُوْقُ المَعَالِي وَهِيَ بائرَةٌ مَجَالَ عَزْمِكَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالقَلَمِ[٢]

وورد في الدر الفريد: (البسيط)

مَا يُصلِحُ الدِّينَ والدُّنيا وأَمرُهَما والخَلقَ والمُلكَ إِلَّا السَّيفُ وَالقَلَمُ

ومن المنثور: " قول بعض الحكماء: أمر الدين والدنيا تحت سنان السيف والقلم"[٣].

وقال الصولي: " مساق أمر الدنيا بِسينٍ وقاف، فيقال: سُقْ، يريد: السيف والقلم"[٤].

---

(١) ديوان المعاني: أبو هلال العسكري ت٣٩٥ه، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٤ه-١٩٩٤م، ج١ص٤٠٥

(٢) ديوان الشريف الرضي ت ٤٠٦ه، تحقيق. محمود مصطفى محلاوي، دار الأرقم، بيروت، الأولى، ١٤١٩ه-١٩٩٩م، ج٢ص٢٦٠

(٣) العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ، ج٤ص٢٧٨

(٤) أدب الكتاب: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ت٣٣٥هـ، تحقيق وتعليق: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية بمصر، المكتبة العربية ببغداد، ١٣٤١ه، ص٧٥

وقال ابن الأثير: " إن كل دولة لا تقوم إلا على دعامتين من السيف والقلم؛ وربما لا يفتقر الملك في ملكه إلى السيف إلا مرّة أو مرتين، وأما القلم فإنه يفتقر إليه على الأيام"(١).

ورغم ما بين السيف والقلم من ترابط وتكامل، إلا أنه حدث بينهما نزاع وتوتر أفضى إلى تقديم أحدهما وتفضيله على الآخر أحيانًا، وفي تراثنا الشعري نصوص كثيرة أربت على الحصر **تبرز مزيَّة القلم وتفضله على السيف**، ومن ذلك قول ابن الرومي: (المتقارب)

لعمرُك ما السيفُ سيف الكميِّ بأخوفَ من قلم الكاتِبِ(٢)

وقول أبي الفتح البستي: (الطويل)

إذا أقسَمَ الأبطالُ يَوماً بسيفِهِمْ وعدُّوهُ مِمّا يُكسِبُ المَجدَ والكَرَمْ

كفى قلَمَ الكُتّابِ عِزّاً ورِفعَةً مدى الدَّهرِ أنَّ اللهَ أقسَمَ بالقَلَمْ(٣)

وقول أبي هلال العسكري: (الكامل)

وَالسَّيْفُ وَهو بحيثُ تَعرِفُهُ فَرْضٌ عَلَيْهِ عَبادَةُ القَلَمِ(٤)

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير ٦٣٧هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ج٢ص٣٢

(٢) ديوان ابن الرومي ت ٢٨٣ه، شرح. أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الثالثة، ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م، ج١ص١٠٥

(٣) ديوان أبي الفتح البستي ت ٤٠٠ه، تحقيق. درية الخطيب ولطفي الصقال، منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١٠ه-١٩٨٩م، ص٢٩٨

(٤) ديوان المعاني: أبو هلال العسكري، ج٢ ص٧٥

وفي المقابل نجد نصوصًا أخرى تفضل السيف على القلم وتقدمه عليه، وهي قليلة مقارنة بتلك التي قدمت القلم على السيف، ومن ذلك قول أبي تمام: (البسيط)

السَيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ(١)

وقول البحتري: (البسيط)

تَعنو لَهُ وُزَراءَ المُلكِ خاضِعَةً وَعادَةُ السَيفِ أَن يَستَخدِمَ القَلَما(٢)

وقول المتنبي: (البسيط)

حَتّى رَجَعتُ وَأَقلامي قَوائِلُ لي المَجدُ لِلسَيفِ لَيسَ المَجدُ لِلقَلَمِ

اكتُب بِنا أَبَداً بَعدَ الكِتابِ بِهِ فَإِنَّما نَحنُ لِلأَسيافِ كَالخَدَمِ(٣)

وظاهر الأبيات السابقة، أبيات (أبي تمام، والبحتري، والمتنبي) أن هؤلاء الشعراء انتصروا على أنفسهم بتقديم السيف على القلم وإيثاره عليه، ولكن المعنى الغائب أو القراءة الثانية لهذه الأبيات خلاف ذلك، فبيت أبي تمام قيل في فتح عمورية، وهي بلد من بلاد الروم، فتحها المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد سنة ٢٢٣ هـ، "وكان المنجمون قالوا له: إنا نجد فى كتبنا أن مدينتنا لا تفتح إلا فى وقت إدراك التين والعنب، وبيننا وبين

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق. محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، الخامسة، ج١ص٤٠

(٢) ديوان البحتري ت ٢٨٤ه، تحقيق. حسين كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، الثالثة، ج٣ص٢٠٤٨

(٣) شرح ديوان المتنبي ت٣٥٤ه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٤٠٧ه-١٩٨٣٦م، ج٤ص٢٩٢

ذلك الوقت أشهر، ويمنعك من المقام البرد والثلج، فأبى أن ينصرف وأكبَّ عليها حتى فتحها، فأبطل ما قالوا"[١]، فهذا البيت–إذن– لا يُقصد به الموازنة بين السيف وقلم الشاعر، بل كانت الموازنة بين السيف وقلم المُنَجِّمين، ومعلوم أن المُنَجِّمَ كان خصمًا منافسًا للشاعر مشاركًا له في البلاط السلطاني، ولهذا فلا عجب أن يستثمر الشاعر الحدث التاريخي ويهزأ بما ذكر المنجمون، وعلى هذا فلم يكن مقصود أبي تمام الانتقاص من قلم الأديب أو الكاتب.

وأما بيت البحتري، فلم يقصد به أيضًا الموازنة بين السيف وقلم الشعراء، والانتقاص من القلم مقابل السيف، بل قُصد به تفضيل السيف الذي يُرْمَزُ به إلى القوة والحُكم على قلم الوزراء الذي كانوا –عادةً– كُتّاب الترسل في الديوان، وعادة ما يخضع الوزراء للقادة والحكام أصحاب السيوف.

وأما بيتا المتنبي فقالهما في قصيدة ذَكر فيها مسيره من مصر سنة ٣٥٢هـ ، وتحدَّث فيها عن نفسه، ووصف القوة التي يُنال بها المجد، والمتنبي شاعر طموح، نفسه مفعمة الكبرياء، شديد الرغبة في نيل القوة، وهو هنا يرى أنه يمثل جانب القوة (السيف) وجانب الحكمة (القلم) معًا، ويختار منهما، وتحدث عن نفسه قائلًا: "حتى عدت إلى وطني وقد علمت أن المجد إنما يُدرك بالسيف لا بالقلم؛ لأن ذا الفضل لا يعظَّم ولا يُهاب كما يُهاب صاحب السيف، ولا يدرك من معاني المجد والشرف ما يدركه.. فقالت لي الأقلام: اخرج على الناس بالسيف واقتلهم، ثم اكتب بنا ما فعلتَ بالسيف، وما تقول من الشعر في ذلك، فإن القلم كالخادم للسيف، جعل الضرب بالسيف كالكتابة له"[٢].

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، ج١ص٤٠

(٢) شرح ديوان المتنبي ت٣٥٤هـ: عبد الرحمن البرقوقي، ج٤ص ٢٩١-٢٩٢

ويظهر لنا من مجموع أبيات السيف والقلم " أن الشعراء أرادوا تأكيد ثلاثة أمور مترابطة:

أولها: ثنائية التجاذب الثقافي والحضاري بين السيف والقلم، وهي ثنائية أزلية، وحقيقة إنسانية، إذ الأفعال كلها نتاج (الإرادة والقوة والمعرفة)، فإذا (أرادت) السلطة شيئًا لتحقيقه لزمها أن (تعرف) معرفة سليمة طرائق تحقيق الإرادة وسبلها الصحيحة. إن هذه الحقيقة لم يبتكرها الشعراء، ولكنهم يريدون تأكيد معناها عند (القوة)؛ حتى لا تغترّ فتحسب أنها تمثل القوة والمعرفة معًا.

وثانيها: أراد الشعراء تأكيد أنهم ممثلون للمعرفة (القلم) دون غيرهم، أو أنهم من ممثليها، تحتاجهم السلطة لتثبيت سلطتها، ولبناء مقوماتها ورمزيتها ومؤسساتها، خاصة حين صارت الكتابة الديوانية مكوناً من مكونات السلطة.

أما ثالثها: فقد أرادوا إخضاع القوة للمعرفة والحكمة (القوة/ السيف = المحل الأدنى، الحكمة/ القلم = المحل الأرفع)، وأرادوا أن تعود سيادتهم كما كانت في فجر تاريخ الشعر العربي حين كان الشاعر الحكيم سلطة وقوة"[١].

---

(١) صراع السيف والقلم ودلالته في الشعر العباسي "تحليل ثقافي": إبراهيم بن محمد أبانمي، مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثامن والثلاثون، ١٤٣٧هـ، ص٣٠٣

المبحث الأول:

علاقة المرسِل بالمرسَل إليه وأثرها في المفاخرتين

يتناول هذا المبحث: التعريف بالمرسِل، والمرسَل إليه، ثم العلاقة بينهما، وأثرها في المفاخرتين

أولًا: المُرْسِل

" هو الطرف الأول، والمنتج للخطاب، وبدونه لا يكون خطاباً؛ لأنه الطرف الأول، والذي يتجه به إلى الطرف الثاني؛ ليكمل دائرة العملية التخاطبية؛ بقصد إفهامه مقاصده والتأثير فيه"(١)، فهو بذلك يمثل " الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه. ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه، باعتماده استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنياً والاستعداد له، بما في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة، وبما يضمن تحقق منفعته الذاتية، بتوظيف كفاءته للنجاح في نقل أفكاره بتنوعات مناسبة.

ولا يمكن للّغة الطبيعية أن تتجسد، وتمارس دورها الحقيقي، إلا من خلال المرسل، فتصبح موجودًا بالفعل بعد أن كان وجودها بالقوة فقط. ليس هذا فحسب، بل يكون وجودها ذا فعل مناسب للسياق، فبدون المرسل لا يكون للغة فاعلية... فالمرسل هو الذي يوظف اللغة في مستوياتها المتمايزة، بتفعيلها في نسيج خطابه، ذلك التفعيل الذي ينوع طاقاتها الكامنة، ويدرك ذلك بإنتاجه خطابات ... فبهذا الفعل التلفظي ينقل المرسلُ اللغة من المستوى الصوري

---

(١) تحليل الخطاب: هند بنت حامد الحازمي، مجلة القراءة والمعرفة، مصر، العدد ١٨١، نوفمبر ٢٠١٦م، ص٤

إلى المستوى التداولي، ويغدو الخطاب عندها مؤشرًا على كفاءته، بالقدرة على التكيف مع محيطه...ولا يقتصر حضور ذات المرسل على لحظة التلفظ الخطابي، بل يظل باقيًا في خطابه ما بقي الخطاب ذاته، مما يشي باستمرار عملية التلفظ، كما هو الحال في الأوامر المكتوبة"(١).

ومرسلا هاتين الرسالتين أديبان كبيران، لكل منهما شأنه ومكانته الكبيرة، ومنزلته الأثيرة، ليس في عصره فقط، بل في تاريخ النثر العربي كله، فكلاهما تولى كتابة الإنشاء في عصره، وتلك منزلة كبيرة ما كان يرقى لها سوى مَن كان على درجة عالية في الآداب والعلوم والفنون، وقد ذكر القلقشندي في المقالة الأولى من كتابه صبح الأعشى ما يجب أن يكون عليه كاتب الإنشاء فقال: " على أن كاتب الإنشاء في الحقيقة لا يستغني عن علم ولا يسعه الوقوف عند فنّ"(٢)، وقال ابن الأثير: " إن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون؛ حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء، والماشطة عند جلوة العروس، وإلى ما يقوله المنادي في السوق على السلعة، فما ظنك بما فوق هذا، والسبب في ذلك أنه مؤهل لأن يهيم في كل واد؛ فيحتاج أن يتعلق بكل فن"(٣).

ومعرفتنا بهذين الكاتبين يعطينا تصورًا عما سيكون عليه المستوى اللغوي والأدبي والبلاغي للنصّين قبل الولوج إليهما، فضلًا عن أن كلاً منهما

---

(١) يُنظر. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية دلالية : عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الأولى، ٢٠٠٣م. ص٤٥-٤٦

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٢١هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤٣٠ه-١٩٢٢م، ج١ص١٤٥

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير ت ٦٣٧هـ، ص٤٨

يعطينا تصورًا عن نمط الكتابة في عصره، فالأول ابن برد **أندلسي** عاش في القرن **الخامس** الهجري، والثاني **مملوكي** عاش في القرن **التاسع** الهجري.

- **الأول: ابن برد الأصغر**

هو أبو حفص أحمد بن محمد بن برد الأصغر، من أعلام الأدب الأندلسي، ذو منزلة أدبية كبيرة، ومكانة أثيرة بين الأدباء، نشأ في أسرة ذات شأن سياسي وعلمي وأدبي، حيث كان **جده أحمد بن برد** شخصية بارزة في تاريخ الدولة العامرية في الأندلس، وظهر كشخصية نابهة نابغة في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر، ولم يثبت أنه شغل منصبًا سياسيًا آنذاك، لكنه ظهر كاتبًا للرسائل منذ عهد عبد الملك بن محمد بن أبي عامر الملقب بالمظفّر، وبرز بصورة واضحة مع الحكام المتعاقبين حتى زمن الخليفة المستظهر بالله، حتى توفي في سرقسطة بعد أن نيف على الثمانين سنة ٤١٨هـ [١]. **وأما أبوه أبو العباس محمد بن أحمد بن برد،** فلم نجد له سوى

---

(١) ينظر ترجمته في:

* الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ت ٥٧٨ هـ، عني بنشره وصححه: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الثانية، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م، ص٤٢
* الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ت٥٤٢هـ، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ق١ج١ص١٠٣
* الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤هـ، ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ج٦ص١٦٤
* الأعلام: خير الدين الزركلي ت ١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين، الخامسة عشر ٢٠٠٢ م، ج١ص١٠٣

ترجمة موجزة جدًا؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنه لم يحظ بمكانة سياسية أو شهرة علمية وأدبية، وتوفي بعد ولده أبي حفص سنة ٤٤٥هـ(١).

أخذ أحمد بن محمد بن أحمد بن برد من جدِّه: اسمه وكنيته (أبا حفص)، وهذا ما جعل كثيرًا من الدارسين والمترجمين يخلطون بينهما مرارًا، ولهذا كان اللقب هو الذي يميز بينهما، (الأكبر أو الوزير) للجَدّ، و(الأصغر أو الكاتب) للحفيد، فضلًا عن أنه نشأ في كنف جده، وانتفع بعلمه وأدبه، وتأثر به تأثرًا كبيرًا، وقد صرّح بذلك، فقال عن أهل بيته: " إن الله تعالى – وله الحمد – جعلنا أهل بيت أشرب حب صناعة الكلام نفوسهم، وشغل بطلب البيان والتبيين قلوبهم، فغذانا بالبحث عن الأصول، على حسب ما وهب الله تعالى لنا من المعرفة، وسهل علينا من الخزونة، حتى عرفنا المقسوم لنا منها فتفقهناه، وفهمنا المنعم به علينا فأحكمناه، ثم انعطفنا على الفروع فذهبنا مع فنونها، واستكثرنا من عيونها. ثم إنا لما رأينا أن الأصول قد اخترناها زاكية المنابت طيبة المغارس، وأن الفروع قد لويناها لدنة الأفنان عذبة، ترامت بنا آمالنا إلى أن نجتبي من زهرتها ونطعم من ثمرتها، فرأينا أن نمد يداً إلى غرس قد أبرناه، حتى بلغ إناه، فنقطف من خياره، ونتأنق في اختياره. وأصبحنا بعد نرمي أغراض الكلام بأسهم أزرها التسديد، ونعقل مناظم القول بألسن برئ منها التعقيد، ونذيب من المنثور جداول النطاف،

---

(١) ينظر ترجمته في:

*** التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار القضاعي البلنسي ت ٦٥٨هـ، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م، ج١ص٣١٤**

*** الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي ت ٧٠٣ هـ، حققه وعلق عليه: إحسان عباس، ومحمد بن شريفة، وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الأولى، ٢٠١٢ م، ج٣ص٥٠٣**

ونُجمد من المنظوم جواهر الأصداف. **وكان جدي أحمد بن بردٍ** – رحمه الله – بطول ممارسته لهذه الصناعة، برخاء اللبب والنهمة في الطلب، ودعة الزمان وإقبال السلطان، ومسافة العمر الممتدة له، قد اقتعد سنامها، ورفع أعلامها، وأصبح إمامها، وزين أيامها، وركب وسط مساقها، وأحرز قَصَب سباقها"[١].

وبذلك " نشأ ابن برد الأصغر كما نشأ أقرانه من أبناء الوزراء والكتاب حينذاك، في أحضان النعمة والجاه، فالبيت الذي ينتمي إليه بيت ثراء ونفوذ أدب، فأقبل على التزود من الأدب، وحفظ نصوصه واستظهارها، ونظر في معانيه وصوره وتعلم أساليبه وطرائقه حتى استقامت ملكته، وانطلق لسانه، وجرى قلمه منذ حداثة سنه"[٢].

وكتب التاريخ والتراجم لم تسعفنا بشيء عن مكان ولادته وزمانها، وربما كان ذلك في قرطبة، حيث كانت أسرته تعيش آنذاك، ولا تسعفنا المصادر أيضًا بشيء عن سنواته الأولى التي عاشها في قرطبة سوى صداقته بأبي عامر بن شهيد ت ٣٩٩هـ [٣]، حيث نظم ابن برد شعرًا تحدث فيه عن

---

(١) الذخيرة: ابن بسام، ق١ ج ١ ص٤٨٧-٤٨٨

(٢) ابن برد الأصغر " عصره، سيرته، ما بقي من شعره": إبراهيم عبد وهيب، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد ١٨، العدد ١٠، ٢٠١١م، ص١٤١

(٣) أبو عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد الأشجعي الأندلسي القرطبي(٣٨٢ – ٤٢٦ هـ = ٩٩٢ – ١٠٣٥ م)، كان من أعلم أهل الأندلس، متفنناً بارعاً في فنونه، وبينه وبين ابن حزم الظاهري مكاتبات ومداعبات، وله التصانيف الغريبة البديعة أبرزها: التوابع والزوابع، ومنها حانوت عطار... ينظر ترجمته. جذوة المقتبس: الحميدي، ص١١٥، الذخيرة: ابن بسام، ق١ج١ص٥٤٢، معجم الأدباء: ياقوت الحموي، ج١ص٣٥٨، وفيات الأعيان: ابن خلكان، ج١ص١١٦، سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج١٣ص١٨٣، الوافي بالوفيات: الصفدي، ج٧ص٩٦،الأعلام: الزركلي، ج١ص١٦٣.

مرضه الأخير؛ تلبية لرغبة ابن شهيد في ذلك، وعندما مات ابن شهيد رثاه ابن برد(١).

ومثلما لم تذكر لنا المصادر شيئًا عن مكان ولادته وزمانها، لم تحدد لنا أيضًا سنة وفاته رغم ما حازه ابن برد الأصغر من مكانة كبيرة وشهرة واسعة، ومعظم من ترجموا له اعتمدوا على رواية الحميدي التي قال فيها: "وقد رأيته بالمرية بعد الأربعين وأربع مائة"(٢)، وهذا كان آخر العهد به، وتأسيسًا على هذه الرواية اعتمد كثيرون ممن كتبوا عنه وترجموا له سنةَ ٤٤٠ه سنة وفاته، ولعل الأحداث المتتابعة التي مرت بها الأندلس، وانتقال ابن برد في آخر حياته من مدينة لأخرى من مدن الأندلس، ومن خدمة أمير لآخر كان سببًا في عدم إثبات سنة وفاته على وجه الدقة(٣).

ولمكانته العلمية الكبيرة، ومنزلته الأدبية المرموقة أثنى عليه الكُتاب والأدباء والنقاد من معاصريه ومَن جاء بعدهم، قال عنه ابن بسام: " كان أبو حفص ابن برد الأصغر في وقته فلك البلاغة الدائر، ومثلها السائر، نفث فيها بسحره، وأقام من أودها بناصع نظمه وبارع نثره، وله إليها طروق، وفي عروقها الصالحات عروق"(٤).

---

(١) يُنظر الذخيرة: ابن بسام، ق١ ج١ ص٣٣٥

(٢) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: محمد بن فتوح الحَمِيدي ت ٤٨٨هـ، ص١١٥

(٣) يُنظر المزيد عن ترجمته في: جذوة المقتبس، ص١١٥، الذخيرة، ق١ج١ص٤٨٦، معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب": ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت٦٢٦هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ج٢ص٥٠٩، الوافي بالوفيات، ج٧ص٢٢٨، الأعلام للزركلي، ج١ص٢١٣

(٤) الذخيرة: ابن بسام، ق١ ج ١ ص٤٨٦

وقال أبو المطرف عبد الرحمن بن فتوح: " إن أبا حفص يشف علينا جملة في الملح القصار، أضعاف شفوفنا عليه في مطولات الأشعار"(١).

قال عنه الحميدي: " أبو حفص الكاتب، مليح الشعر، بليغ الكتابة، من أهل بيت أدب ورياسة له: رسالة في السيف والقلم، والمفاخرة بينهما، **وهو أول من سبق إلى القول في ذلك بالأندلس**"(٢)

قال عنه ابن خاقان: " الوزير الكاتب أبو حَفص أحمد بن بُرْد، هذه ثِنيَة غُذِيَت بالأدب، ورَبتْ في أسمى الرُّتَب، ما منهم إلاّ شاعرٌ كاتب ولازم لباب السُّلطان راتب، لم يزل في الدول العامريّة بسبقٍ يُذكر وحق لا يُنكر، وأبو حَفص هذا بديع الإحسان، بليغُ القلم واللّسان، مليحُ الكتابةِ فصيحُ الخطابة، وله رسالة السيف والقلم، **وهو أوّل من قال بالفرق بينهما**، وشعره مثقف المباني، مُرهف كالحُسام اليماني"(٣).

قال عنه أحمد ضيف: " كان أبو حفص ابن برد الأصغر من كبار الكتاب والأدباء، ومن النبهاء الأذكياء، ومن الشعراء أصحاب الديباجة الحسنة وأهل الظُّرف في الشعر"(٤).

وعدَّه إحسان عباس مثالًا لنضج النثر الأندلسي أسلوبًا ومضمونًا من خلال كلماته الجامعة التي تجري مجرى الحكمة والمثل(٥).

---

(١) الذخيرة: ابن بسام، ق١ج٢ص٧٧٠

(٢) جذوة المقتبس، ص١١٥

(٣) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس الفتح ابن خاقان الإشبيلي، حقيق: محمد علي شوابكة، دار عمار – مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م، ص٣٠٧

(٤) بلاغة العرب في الأندلس: أحمد ضيف، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة– تونس، الثانية، ١٩٩٨م، ص١٦٨

(٥) يُنظر. تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، إحسان عباس ت ١٤٢٤هـ، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ١٩٧٨م، ص٢٨٢

- **الثاني: أبو العباس القلقشندي**

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله الفزاري القلقشندي القاهري، ولد سنة ست وخمسين وسبعمائة للهجرة، في بلدة يقال لها: (قلقشندة) من أعمال محافظة القليوبية بمصر، وإليها يُنسب، ويعود نسبه إلى بني بدر الذي كانت فيهم رئاسة بني فزارة في الجاهلية.

وفي قلقشندة تلقى تعليمه الأول، حتى بلغ الخامسة عشرة تقريبًا؛ إذ لا يعرف السن التي انتقل فيها إلى الإسكندرية، ولكن يبدو أنه شعر أن بلدته ضاقت عن تحقيق آماله العلمية ورغباته المعرفية، فقرر الارتحال طلبًا للاستزادة من العلم والفقه والأدب والأخذ عن مشاهير العلماء وكبار الأدباء والفقهاء(١).

ذكر المؤرخون والمترجمون له أنه كان على قدر كبير من الذكاء وقدرة على الحفظ والاستظهار والاستذكار، مما ساعده على تشكيل ثقافته التي

---

(١) يُنظر ترجمته في:

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: بدر الدين العينى ت ٨٥٥هـ، تحقيق. عبد الرزاق الطنطاوي القرموط، مطبعة علاء الدين، القاهرة، ١٤٠٦ه-١٩٨٥م، ص٣٣٨-٣٣٩
- السلوك لمعرفة دول الملوك: أحمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥هـ، تحقيق. سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، مركز تحقيق التراث، مصر، ١٩٧٢م، ص٤٧٣-٤٧٤
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤هـ، تحقيق. محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٩٢م، ج١٣ص٢٨٨
- إنباء الغمر بأبناء العمر: ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٨٦م، ج٧ص٢٣٠-٢٣١
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين السخاوي ت ٩٠٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الأول، ج٢ص٨.
- الأعلام للزركلي، ج١ص١٧٧، معجم المؤلفين، ج١ص٣١٧

اتسمت بالموسوعية، فلم تكن قاصرة على علم من العلوم أو فن من الفنون، ويتضح ذلك فيما نعته به المؤرخون والمترجمون له، حيث نعتوه **(بالبارع)**[١]؛ لبراعته في فنون اللغة العربية وآدابها، وفي الفقه، لاسيما، الفقه الشافعي الذي كان مذهب أهل مصر آنذاك. وآثاره في الفقه، والأدب، واللغة، والتاريخ، والأنساب دليل على أحقيته هذا اللقب. ونُعت **(بالإمام)**[٢]، وهو لقب لا يُوصف به سوى كبار العلماء والفقهاء؛ لسعة علمه، وعمله بالفقه تدريسًا وتصنيفًا. ونعت **(بالمؤرخ)**[٣]؛ لتمتعه بحاسة تاريخية قوية، ومؤلفاته، لاسيما، صبح الأعشى تدل على ثقافته التاريخية، وأنه كان مؤرخًا واعيًا حافظًا محيطًا بظواهر الأمور وباطنها، قادرًا على الربط والاستنتاج، مستوعبًا لكثير من كتب السير والتاريخ والأنساب. ونعت **(بالأديب)**، فقد ذكر معاصروه أن له نثرًا ونظمًا، وإن لم يكن له ديوان أُفرد فيه شعره، فإن موسوعته صبح الأعشى حوت عددًا كبيرًا من المقطوعات المنظومة جاءت على سبيل الاستشهاد؛ وربما يرجع ذلك إلى أنه كان مناهضًا للشعر منحازًا للنثر، قال عنه السخاوي: " كان أحد الفضلاء ممن برع في الفقه والأدب"[٤]، وقال عنه ابن حجر: " تفقه وتمهر وتعانى الأدب"[٥].

---

(١) السلوك، ج٤ق١ص٤٧٣، النجوم الزاهرة، ج٣ص٨٢١، الضوء اللامع، ج١ص٨

(٢) الضوء اللامع، ج٢ص٨

(٣) الأعلام للزركلي، ج١ ص١٧٧

(٤) الضوء اللامع، ج٢ص٨

(٥) إنباء الغمر، ج٧ص٣٣٠

وهذه العلوم والمعارف والثقافة الواسعة التي حصَّلها أهلته للحصول على إجازات متعددة من كبار شيوخ عصره وعلمائه في: الإفتاء، والتدريس، والرواية(١).

وفي سنة إحدى وتسعين وسبعمائة التحق القلقشندي للعمل بديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية، وهذه وظيفة سامية ومكانة عالية، لم يكن له أن يلتحق به إلا بفضل ما حصَّله من علوم وحازه من معارف شتى وفنون مختلفة.

وللقلقشندي مؤلفات كثيرة منها: الغيوث الهوامع، وشرح الحادي الصغير، وكُنه المراد في شرح بانت سعاد، وصبح الأعشى(٢)، وضوء الصبح المسفر، ونهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ومآثر الإنافة في معالم الخلافة(٣).

أما وفاته، فيجمع المؤرخون على أنها كانت في جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثمانمائة للهجرة.

ثانيًا: المُرْسَل إليه

هو الطرف الثاني والقاعدة الذهبية في الخطاب سواء كان على مستوى إنتاج الخطاب أو تأويله، ومن ثم له دور كبير في توجيه المُرسِل (المبدع) عند صياغة خطابه واختيار أدواته ، وقد أشار اللغويون القدماء في التراث

---

(١) يُنظر. أبو العباس القلقشندي أديبًا: أحمد عبد الرحمن محمد الذنيبات، ماجستير، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠١م، ص٦٠-٦٥

(٢) يُقال: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وفي: فن الإنشا، معرفة الإنشا، كتابة الإنشا، قوانين الإنشا.

(٣) يُنظر. أبو العباس القلقشندي أديبًا، ص٤٩-٦٠

العربي إلى **تأثير المرسَل إليه على المرسِل، عند إنتاج خطابه،** " إذ أبرزوا دوره في مستوى الخطاب اللغوي، مثل المستوى النحوي، من حيث: التذكير والتأنيث والعدد...أما عند البلاغيين، فإن دور المرسَل إليه يتجاوز ذلك، فبناء الخطاب وتداوله مرهون – إلى حد كبير – بمعرفة حاله، أو بافتراض ذلك الحال... ويدل ذلك على أن المرسَل إليه حاضر في ذهن المرسِل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضورًا عينيًا أم استحضارًا ذهنيًا. وهذا الشخوص أو الاستحضار للمرسَل إليه هو ما يسهم في حركية الخطاب، بل يسهم في قدرة المرسل التنويعية، ويمنحه أفقًا لممارسة اختيار استراتيجية خطابه"(١).

والمُرْسَل إليه والمخَاطَب في مفاخرة ابن برد -كما صرّح في ختامها- هو: أبو الجيش مُجَاهِد بن يوسف بن علي العَامِري، بالولاء ت ٤٣٦هـ/١٠٤٤ م، مؤسس الدولة العامرية في دانية وميورقة وأطرافهما، رومي الأصل. ولد بقرطبة. ورباه المنصور بن أبي عامر مع مواليه، فنسب إليه، ولما كانت فتنة " البربر " خرج مجاهدٌ من قرطبة، وتبعه جمع من موالي ابن أبي عامر، وبعض جيش الأندلس، فدخل بهم طرطوشة، وانتقل إلى دانية (على ساحل البحر الرومي) فاستقل بها سنة ٤١٢ هـ واستولى على الجزائر القريبة منها، وتلقب بالموفق باللَّه، وغزا الإفرنج بالأساطيل في جزيرة سردانية، فغلب على كثير منها. ودامت له الإمارة إلى أن توفي. وكان حازمًا يقظًا شجاعًا، عارفًا بالأدب وعلوم القرآن، نعته بعض مؤرخيه بفتى أمراء دهره وأديب ملوك عصره. وهو من ملوك الطوائف بالأندلس بعد انقراض الدولة الأموية(٢).

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية دلالية : عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص٤٧-٤٨

(٢) ينظر ترجمته. جذوة المقتبس، ص٣٥٢، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٦١، الأعلام للزركلي، ج٥ص٢٧٨، معجم المؤلفين، ج٨ص١٧٧، أبو الجيش مجاهد العامري أمير دانية والجزائر الشرقية: عبد الكريم خيطان، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد٨٩، ٢٠٠٩م، ص١٣

والمُرسَل إليه والمُخاطّب في مفاخرة القلقشندي كما صَّرح في استهلالها وختامها هو: المقر الزيني أبو يزيد بن مراد الدوادار الظاهري، كان خيّرًا ديّنًا فقيهًا على مذهب أبي حنيفة، مشاركًا في العلوم، كان من أسباب سعادته أن اختفى عنده السلطان المملوكي (برقوق) في الكائنة التي جرت عليه، فلما عاد إلى السلطة عظّم أبا يزيد وقرّبه وتعهّده ثم رتّبه في الدوادارية، أي حامل دواة السلطان، وهي وظيفة صاحبها مسؤول عن مكاتبات السلطان ومراسلاته، وإيصال الأخبار منه وإليه، كما يتولى تنظيم الدخول والخروج على مجلسه. وظل أبو يزيد خامل الذِّكر إلى أن مات سنة ٨٣١هـ [١].

ثالثًا: أثر العلاقة بين المرسِل والمرسَل إليه في المفاخرتين

من المقرر في دراسة الخطاب أن" الأمر لا يقتصر على دور كل من طرفي الخطاب بمعزل عن الطرف الآخر، أو بمعزل عن محيطهما، فهناك العلاقة بينهما والمعرفة المشتركة وغير ذلك من العناصر المؤثرة. **فتغدو العلاقة بين طرفي الخطاب من أبرز العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد استراتيجية الخطاب المناسبة واختيارها،** إذ يراعيها المرسل دومًا عند إنتاج خطابه، فلا يغفلها، وذلك بوصفها محددًا سياقيًا، له دوره في إنجاح عملية التواصل، وتحقيق هدف المرسل من عدمه"[٢].

---

(١) ينظر ترجمته. إنباء الغمر، ج١ص٤٦٨، السلوك، ج٢ص١٤٨، الضوء اللامع، ج٦ص٢١٥، نيل الأمل في ذيل الدول: زين الدين ابن شاهين الظاهريّ الملطيّ ت ٩٢٠هـ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م، ج٢ص٣٣١

(٢) السابق، ص٤٨

والعلاقة بين المرسِل والمرسَل إليه في المفاخرتين علاقة سياسية ذات خصوصية وحساسية شديدة، ولا شك في أن هذه العلاقة سيكون لها دور كبير في إنتاج النص الموجه إلى اثنين: أحدهما مجاهد العامري، وهو أمير وقائد عسكري، والآخر كاتب السلطان وأحد صانعي القرار في البلاط المملوكي آنذاك.

وعلاقة المرسِل بالمرسَل إليه تبرز الغرض من المفاخرتين وهو المديح، فابن برد في مفاخرته أراد أن يمدح مجاهد العامري مدحًا غير تقليدي؛ لينال الحظوة لديه، ويلفت نظره إلى رعاية الأدباء والكُتّاب والاهتمام بهم، وذلك بعد أن تدانت منزلتهم، وتراجعت مكانتهم، وقلّ شأنهم **في عصر ملوك الطوائف؛** بسبب الأحداث السياسية السائدة آنذاك، حيث أصبح رجال السيف والحرب عمادَ الدولة وأصحاب الكلمة فيها، فنشب صراع خفيٌّ بين أصحاب السيف وأصحاب القلم. ولم يشأ ابن برد أن ينبه مجاهدَ العامريَّ إلى ما حلّ بالكُتّاب من غبن وجور تنبيهًا مباشرًا؛ لئلا يوغر صدر الأمير، فنحى منحىً رمزيًا أشاد من خلاله إلى فضل أصحاب القلم في بناء الدولة وإدارة شؤونها مع أصحاب السيف جنبًا إلى جنب، داعيًا إلى المساواة بينهما، فهما وجهان لعملة واحدة، ولا تقوم الدولة ولا تنهض بأحدهما دون الآخر.

ومفاخرة القلقشندي كذلك دارت حول المديح، حيث استهلها القلقشندي وختمها بمديح المقرّ الزيني مستغلاً مناسبة توليه منصب الدوادارية[١]

---

(١) الدوادارية: هم من يقومون بتبليغ الرسائل عن السلطان، وإبلاغ عادة الأمور، وتقديم القصص إليه والمشاورة على من يحضر إلى الباب، وتقديم البريد...ويأخذ خط السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب، وإذا خرج عن السلطان بمرسوم يكتب وتعين رسالته. يُنظر. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ابن فضل الله العمري، ت٧٤٩هـ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الأولى، ١٤٢٣، ج٣ص٤٥٦

في مدحه والإشادة بخصائله وذكر فضائله وشمائله، وإبراز مكانة القلم وأربابه في الدولة وإدارة شؤونها.

ولعل الظروف السياسية التي كتبت فيها مفاخرة القلقشندي تتشابه – إلى حد كبير– مع الظروف التي كتب فيها ابن برد مفاخرته، فالقلقشندي عاش في ظل دولة المماليك التي عاشت في صراع سياسي وحربي خارجي مع الصليبين، فضلًا عن الصراع الداخلي، مما أبرز مكانة الجنود المحاربين أصحاب السيف، الأمر الذي دفع القلقشندي إلى استغلال الفرصة لإبراز مكانة الكُتَّاب ودورهم في إدارة الدولة وتدبير شؤونها، فاستغل فرصة تولي ممدوحه المقرّ الزيني مهمة الدوادارية، ثم مضى يمدح الكُتاب، ويشيد بفضائلهم، ويبرز مكانتهم، فقال: " **وسبب إنشائي لهذه الرسالة أن الأمير أبا يزيد الموضوعة له، تغمّده الله تعالى بالرحمة والرضوان، كان من جودة الخطّ وتحرير قواعده في الطّبقة العليا، وعظمت مكانته عند سلطانه الملك الظاهر «برقوق» وعلت رتبته حتى ولّاه وظيفة الدّوادارّية بإمرة تقدمة ألف، ولم يزل مقدّما عنده حتى مات هو متولّيها، وأولاني عند عملها له من الصّلة والبرّ المتوالي ما يقصر عنه الوصف، ويكلّ عنه اللّسان**"[١].

(١) صبح الأعشى، ج١٤ ص٢٤٠

المبحث الثاني

البنية الشكلية للمفاخرتين (المقدمة – المضمون – الخاتمة)

إن وراء كل خطاب غرضًا، وفي كل نصٍّ نيةٌ وقصد، قال ابن عبد ربه:" إن أبرويز قال لكاتبه: اعلم أن دعائم المقالات أربع، إن التمس لها خامسة لم توجد، فإن نقصت منها واحدة لم تتمّ؛ وهي: سؤالك الشيء، وسؤالك عن الشيء، وأمرك بالشيء، وإخبارك عن الشيء؛ فإذا طلبت فأسجح ، وإذا سألت فأوضح، وإذا أمرت فأحكم، وإذا أخبرت فحقّق، واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول"[١]، " **ومعلوم أن تحديد نوع الخطاب الذي ينتمي إليه النص يشكل إحدى القواعد الأساسية في القراءة البلاغية**، فالنوع لا يملي قيودًا مرتبطة بالطول والأسلوب والمعجم فقط، ولكنه يملي قيودًا إيديولوجية، فاختيارنا لموضوع ما...لا يترتب عليه قول الشيء نفسه، أو استخلاص النتائج نفسها. إن النوع يقيد الفكر"[٢].

والرسالة هنا تنتمي إلى فن أدبي عرف منذ الجاهلية هو فن المفاخرة، والمفاخرة لغة: من الفخر، ومادة " الفُخْر والفَخار تدل: التمدُّح بِالْخِصَالِ والافتِخارُ وعَدُّ الْقَدِيمِ... وادِّعَاءُ الْعِظَمِ وَالْكِبْرِ وَالشَّرَفِ"[٣].

والمفاخرة اصطلاحًا هي: " لون نثري يمثل محاورة نثرية بين طرفين يعمد أحدهما إلى إظهار المحامد، أو الطعن في المقابل، من دون قصد إلى

---

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، ج٢ص١٢٦

(٢) عن التحليل البلاغي للخطابات : محمد مشبال، مجلة فصول، مصر، العدد ٩٧، ٢٠١٦م، ص٧٩.

(٣) لسان العرب: جمال الدين ابن منظور ت ٧١١هـ، دار صادر – بيروت، الثالثة – ١٤١٤ هـ، ج٥ص٤٩. ف خ ر.

حَكَمٍ يفصل بينهما، أو عطاءٍ يُعطَى للغالب منهما"[١]، **وقد تكون المفاخرة حقيقية أو خيالية.**

أما المفاخرة الخيالية فهي: "محاورة تكون بين اثنين أو أكثر من غير العقلاء يُشَخَّص فيها المتحاوران، ويعارض أحدهما الآخر؛ ليفحمه بحججه التي يراها مناسبة؛ وذلك لتحقيق غاية ارتآها الأديب من مفاخرته"[٢]، قال حيدر جاسم: "إن المفاخرة الخيالية تقوم –في الأساس– على اصطناع مفاخرة من خيال المؤلف يشخص فيها المتفاخرين، ويُجري بينهم حوارًا يمكن من خلاله أن يعبر عن رؤية فكرية يسعى لها المؤلف؛ لتحقيق أهداف معينة"[٣] ، فخيالية المفاخرة تقتضي من الكاتب أن" يجرد من نفسه شخصيتين خياليتين أو أكثر، ويجعل هذه الشخصيات تتجادل وتتحاور وتتنافر في ذهنه، وهو يسيطر على صراعها وخصامها في نص واحد"[٤]، وهذا يعني أن مؤلف المناظرات الخيالية يقوم بتصوير الواقع بطريقة خيالية رمزية؛ لأن الخيال يُظهر المعاني المخبوءة المحسوسة ويجعلها رموزًا روحية فكرية[٥].

---

(١) تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية: محمود مقداد، دار الفكر المعاصر، بيروت، الأولى، ١٩٩٣م، ص٨٢

(٢) فن المناظرات الخيالية في العصر العثماني دراسة مقارنة بالفنون الأدبية الأخرى: زينب محمد صبري، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، المجلد ١٥ العدد ٣٠، ٢٠١١م، ص١٤٩

(٣) المواضع الحجاجية في المفاخرات الخيالية في النثر العربي ودورها في عملية الإقناع: حيدر جاسم وعرفات فيصل المناع، مجلة آداب البصرة، العدد ٩٠، ٢٠١٩م، ص٣٧

(٤) السابق: الصفحة نفسها

(٥) يُنظَر. المناظرات الخيالية في أدب المشرق والمغرب والأندلس دراسة نقدية: رغداء ماردين، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص٤٧

وقد اعتمدت المفاخرات الخيالية " **أسلوب التشخيص الخيالي** الذي يحرك الجماد، فيجعله ينطق يناقش ويجادل، فيتقمص المؤلف شخصيات الطبيعة والجماد... ويعطيها الروح الإنسانية من إحساس وتفكير، مما له شأن في معالجة قضايا المجتمع والدولة والحكم، والإشارة إلى مواطن الخلل بُغية الدعوة إلى الإصلاح، فضلًا عن تجسيد تلك المفاخرات للترفيه والتسلية في مجالس الأدباء"(١).

وفيما يلي عرض لمضمون المفاخرتين:

أولًا: مفاخرة ابن برد

- **المقدمة**

استهل ابن برد مفاخرته بتحميد قصير موجز قال فيه: **(أما بعد حمد الله بجميع محامده وآلائه، والصلاة على خاتم أنبيائه)**(٢)، وأغلب الظن أن جزءًا من رسالته قد فقد؛ لأن ابن برد كان مبرزًا في التحميدات متميزًا بافتتاح رسائله، فكيف يكتب هذه المفاخرة بهذه البراعة البلاغية واللغوية والأسلوبية العالية بدون تحميد يُمهد المتلقي للولوج للمفاخرة ؟! وربما لم يحفل ابن برد بمطلع هذه المفاخرة كعادة كثيرين من الأندلسيين في هذه الحقبة، فمن المعلوم أنه" لم يحفل الكتاب الأندلسيون افتتاح المشارقة بمطالع الرسائل وخواتيمها، ولهذا اتخذت رسائلهم في بنائها شكلًا فنيًا جديدًا، يختلف في بعض جزئياته عما ألفناه في الرسائل المشرقية"(٣).

---

(١) المناظرات الخيالية في أدب المشرق والمغرب والأندلس دراسة نقدية: رغداء ماردين، ص٤٨.
(٢) ينظر المفاخرة كاملة في: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام ، ق١ ج١ ص٥٢٣-٥٢٨.
(٣) أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري: فايز عبد النبي القيسي، دار البشير، عمان- الأردن، الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص٣١٥

ثم خلص ابن برد من المقدمة إلى بيان قيمة السيف والقلم ومكانتهما، وما لهما من أهمية بالغة مبيناً أنه لا غنى لأحدهما عن الآخر، فالعلاقة بينهما تقوم على الالتحام والالتصاق، وهما مطية المرء إلى المجد والمراتب العليا، مستعيناً في ذلك بالصورة التشبيهية، فجعلهما كجوادين في حلبة سباق، وتَخَيَّلَهما نجمين أنارا في أفق، أو سهمين سارا على نسق، فقال: **(فإن التسابق من جوادين سبقا في حلبة، وقضيبين نُسقا في تربة؛ والتحاسد من نجمين أنارا في أفق، وسهمين صارا على نسق؛ والتفاخر من زهرتين تفتحتا من كمامة، وبارقتين توضَّحتا من غمامة، لَأحمدُ وجوه الحسد، وإن كان مذموماً مع الأبد).**

واستعان ابن برد بحسن التصوير وتنوع العرض وجمال البديع في التوطئة لهذه المفاخرة بطريقة تثير المتلقي، فلا يزال من يطالع هذا التقديم ينظر بشغف عمن سيكون الحديث، ثم أعلن ابن برد شرارة البدء ببيان ما يوجب المنافسة، وكيف يتفوق شيء على الآخر أحياناً، وإن كانا في الميدان ذاته، فقال: **(وربما امتد أحد الجوادين بخطوة، أو خُصَّ أحدُ القضيبين بربوة، أو كان أحد السهمين أنفذ مصيرًا، أو راح أحد النجمين أضوأ تنويرًا، أو غدت الزهرتين أندى غضارة، أو أمست إحدى البارقتين أسنى إنارة؛ فالمُقَصِّر يرتقب تقدماً، وتقارب الحالتين في المجانسة يَشُب نار المنافسة، وإن حال بينهما قدح النقاد، وقبح تحاسد الأضداد).** " وما تزال قريحة ابن برد تتهادى في جمل قصيرة، وموازنات ترتكز في معناها وتنصب على هدف يقدح الفكرة التي يبغيها، ألا وهي كيفية تولّد المنافسة، وقد وظف ابن برد فكرته الأولى فيما استخدمه من وصف متعدد؛ ليؤكد هذه الفكرة ويعززها؛ فتقارب الحالتين في المجانسة هو الذي يشعل نار المنافسة. ويسن ابن برد

قرارًا واضحًا قبل البدء في استدعاء الأدلة والإدلاء بشهادته متنافِسَيْه، وهو بمنزلة السُّنة والتشريع في الفرق بين المنافسة والعداوة، وكأنه هنا استشف روح ابن حزم[١] الذي قاسى الفتنة وجنح إلى الألفة، فلا يبتعد ابن برد عنه وهو ابن زمن الفتنة أيضًا، فالحسد والقدْح غير الاعتراف بالفضل أو إحقاق الأشياء حقها"[٢].

- **المضمون**

صور ابن برد في مضمون رسالته الجدال والتفاخر بين السيف والقلم اللذين دخلا حلبة المفاخرة، وادّعى كل طرف منهما الفضل والتقدم على الآخر، زاعمًا أنه الأحق بالسيادة والزعامة، ومعددًا مناقبه ومآثره وفضائله على خصمه. وحرص ابن برد على الحيادية في طرح موضوعه عندما أعطى الفرصة لكل منهما؛ كي يدلي بثقل موازينه ويعرض أدلته وحججه وبراهينه، **إلا أن هذه الحيادية تأثرت بالنزعة الذاتية لابن برد الذي أعطى زمام المبادرة والبدء للقلم**؛ وليس ذلك من قبيل المصادفة، بل تعمده ابن برد؛

---

(١) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري(٣٨٤ - ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٤ م) ، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم " الحزْمية، والظاهرية "، ولد بقرطبة، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيهًا حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدًا عن المصانعة. ينظر ترجمته. جذوة المقتبس: الحميدي، ص ٣٠٨، بغية الملتمس: الضبي، ص٤١٥، معجم الأدباء: ياقوت الحموي، ج٤ص١٦٥٠، وفيات الأعيان: ابن خلكان، ج٣ص٣٢٥، سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج١٣ص ٣٧٣، تاريخ الإسلام: الذهبي، ج١٠ص٧٤، الوافي بالوفيات: الصفدي، ج٢٠ص٩٣، الإحاطة: ابن الخطيب، ج٤ص٨٧، الأعلام: الزركلي، ج٤ص٢٥٤.

(٢) النثر الفني الأندلسي في عصر الخلافة الأموية ٣٧٧-٤٢٢هـ: منال سالم العقباني، دكتوراه، إشراف. أد. صلاح جرار، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨م، ص١٦٦

لأنه من أرباب الفكر، والقلم يتلك بلسان صاحبه؛ ليثبت أن له القدح المعلى في كل ميدان، وبذلك يصبح القلم في موضع الهجوم، بينما أصبح السيف في موضع المدافع.

بدأ القلم مفتخرًا على السيف بما حازه من شرف وكرم، وما ناله من قداسة إلهية، ومنزلة لم يرقَ إليها أحد، حيث أقسم الله به، فما أعظم هذا القسم، وما أجل المُقْسَم به، فقال: **(ها، الله أكبر! أيها المسائل بدءاً يعقل لسانك، ويحير جنانك، وبديهة تملأ سمعك، وتضيق ذرعك. خير الأقوال الحق، وأحمد السجايا الصدق. والأفضل من فضله الله عز وجل في تنزيله، مقسماً به لرسوله ، فقال: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)**[1]**، وقال: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)**[2] **فَجَلَّ من مُقْسَمٍ، وعزَّ من قسم، فما تراني، وقد حللت بين جفن الإيمان وناظره، وجلت بين قلب الإنسان وخاطره ؟ لقد أخذت الفضل برُمَّتِه، وقدتُ الفخر بأزمته).**

ثم يرد السيف على القلم مشيرًا –في البداية– إلى أن قيمة كل امرئ ما يُحسن، وهذا يعني أن لكل واحد منهما موضعه وميدانه، فلا السيف يغني عن القلم ولا القلم يغني عن السيف، **ثم ترتفع نبرة (الأنا) عند السيف،** ويسعى بلهجة فيها غرور وثقة زائدة بالنفس إلى الانتصار لنفسه، وإثبات مكانته اللائقة به، وبيان قدرته على الحسم وترسيخ دعائم الملك، ثم يدعي أن السعادة لمن يحمله، والسداد لمن بات السيف وسادًا له، والهدى لمن اتخذه دليلًا، وأن قضاءه نافذ، ومضاءه لا يُرد، والفضل –في النهاية– لمن يفعل لا لمن يتكلم فحسب – يعرِّض بالقلم–، **(قال السيف: عدنا من ذكر الطبيعة إلى**

---

(١) سورة القلم : آية ١

(٢) سورة العلق: آية ٣–٤

ذكر الشريعة، ومن وصف الخصلة إلى وصف الملة، لا أُسِرُّ ولكن أعلن، قيمة كل امرئ ما يحسن. إن عاتقاً حمل نجادي لسعيد، وإن عضداً بات وسادي لسديد، وإن فتى اتخذني دليله لمهدي، وإن امرأً صيرني رسيله لمُفَدَّي؛ يشق مني الدجى بمصباح، ويقابل كل باب بمفتاح. أُفْصِحُ والبطلُ قد خَرِسَ، وأبتسم والأجل قد عبس؛ أقضي فلا أنصف، وأمضي فلا أصرف؛ أزري بالوفاء، وأهتك اللأمة هتك الرداء).

ثم يرد القلم على السيف معتزًا بنفسه مفتخرًا شامخًا مثبتًا السبق لذاته، مُدّعيًا لنفسه العدل، وقبول الشهادة، وفي المقابل يقلل من شأن السيف الذي كدَّر الإخاء، وعكّر الصفاء والودّ بين الناس، وهيّج الشرَّ وأثار الفتن، **(قال القلم: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، وقبحاً للتحلي بالجور. وتَسَوَّد ما بيض الصفاء، وتكدر ما أخلص الإخاء، وتوكد أسباب الفتن، وتضرب بقداح الفتن. الحق أبلج، والباطل لجلج، إن تأبى النصفة فإنها في قدحها لمأمونة الطائر، محسودة الباطن والظاهر. أحكم فأعدل، وأشهد فأقبل؛ وترحل عَزَمَاتي شرقاً وغرباً ولا أرحل؛ أعد فأفي، وأستكفى فأكفي، أحلب الغنى من ضروعه، وأجتني الندى من فروعه. وهل أنا إلا قطب تدور عليه الدول، وجواد شأوه يدرك الأمل، شفيع كل ملك إلى مطالبه، ووسيلته إلى مكاسبه؛ وشاهد نجواه قبل كل شاهد، ووارد معناه قبل كل وارد).**

فاستشاط السيف غضبًا وتجاوز في خطابه القلمَ حدود النقد الهادئ، واحتد عليه، ونحى في خطابه منحى التهكم والسخرية والتحقير من شأن القلم وامتهانه والاستهانة به، فادّعى قِصر باعه، وانكسار جناحه، ورخص ثمنه، وفناءه مع كثرة البري، **(قال السيف: يالله! استنت الفصال حتى القرعى، ورب صلف تحت الراعدة؛ لقد تحاول امتداداً بباع قصيرة، وانتفاضاً بجناح**

كسيرة. أمستعرب والفلس ثمنك؟! ومستجلب وكل بقعة وطنك! جسم عارِ، ودمع بار، تحفى فتنعل برياً، حتى يعود جسمك فيّا، إن الملوك لتبادر إلى دركي، ولتتحاسد في ملكي، ولتتوارثني على النسب، ولتغالي في على الحسب؛ فتكللني المرجان، وتنعلني العقيان، وتلحفني بخلل كحلل، وحمائل كخمائل، حتى أبرز براز الهندي يوم الجلاء، والروض غب السماء)[١].

ويبدو أن ابن برد كان حريصًا على تقديم القلم وإبرازه في صورة تفضل السيف، فعلى الرغم من هجوم السيف الساخر وامتهانه القلم واحتقاره له فإن القلم دافع عن نفسه، ونقض ما تهمه به السيف، وأثبت عكس ما رماه به، موضحًا جهل السيف لما فهمه عنه، وفي حكمة رائعة ولغة هادئة استطاع القلم أن يحوّل العيوب التي ألصقها السيفُ به من صغر الحجم، وبخس الثمن، وغير ذلك إلى مزايا، فبخس الأثمان وتمكُّن الوجدان ليس عيبًا ولا نقصًا؛ فأنفس الجواهر وأغلى المعادن تكمن في التراب والأحجار، والماء سرّ الحياة هو أكثر المعايش وجدانًا وأقلها أثمانًا، وأن التعرّي ليس عيبًا في كثير من الأحيان، فالدُّر لا يبدو جماله وبهاؤه حتى يُطرَح صدفه، ثم يتحول القلم من ذِكر محاسنه والدفاع عن نفسه إلى الهجوم على السيف تارة أخرى مبينًا أن السيف لولا إزالة ما عليه من صدأ لذهب أدراج الرياح وعاد مع التراب ترابًا، **(قال القلم: من ساء سمعاً ساء إجابة. أستعيذ بالله من خطل أرعيت فيه سوامك، وزلل افتتحت به كلامك؛ إن ازدراءك بتمكن وجداني، وبخس أثماني، لنقص في طباعك، وقصر في باعك؛ ألا وإن الذهب معدنه في العفر، وهو أنفس الجواهر، والنار مكمنها في الحجر، وهي إحدى العناصر، وإن الماء وهو الحياة، أكثر المعايش وجداناً، وأقلها أثماناً، وقلما تلفى الأعلاق**

---

(١) الذخيرة في حاسن أهل الجزيرة ، ق١ ج١ ص٢٢٥

النفيسة، إلا في الأمكنة الخسيسة. وأما التعري، فغنينا بالجمال عن جر الأذيال؛ وهل يصلح الدر حتى يطرح صدفه، أو يبتهج الإغريض حتى يشذب سعفه، أم يتلألأ الصبح حتى تنجلي سدفه – إن الضحاء للرجال معروف. وإن الخفر على النساء موقوف. ولولا جلاء الصياقل صدأك لأسرعت ذهاباً، وعدت مع التراب تراباً).

وهكذا تمضي المفاخرة بين السيف والقلم **على نحو أقرب من النقائض في الشعر العربي،** فكلٌ منهما يذكر فضائله ومناقبه، وفي المقابل يهجو الآخر وينتقصه وينقض ما جاء به، " وفي هذه الرسالة مناقشات طويلة يحشد لها الكاتب ضروبًا من الحجج والبراهين، ويتفنن في تشخيص الأداتين، حتى لينسى القارئ أنه حديث خيالي مصطنع، وذلك بما يبثه من الحيوية في الحوار، وما يصبغه على السيف والقلم من العواطف البشرية، وما يهيئ لهما من أنماط السلوك الإنساني"(١).

- **خاتمة المفاخرة**

بعد أن تعاقب السيف والقلم على منبر المفاخرة يتبادلان من خلاله التهم والسباب، وينسب كل منهما الفضل لنفسه، ويعرّض بالآخر وينقده وينتقصه يأتي الملمح الأخير في هذه المفاخرة، حيث ينتهي بعد طول جدل ومعارضة ومراوضة إلى عقد الصلح بين السيف والقلم؛ لأن الخير كل الخير في ائتلافهما والمساواة بينهما، لاسيما أن كلًا منهما في قبضة الأمير أبي الجيش مجاهد العامري. **ويستغل ابن برد هذا المشهد في مدح الأمير،** فَيَدُه أكرم يد

(١) النثر الأندلسي في القرن الخامس الهجري "مضامينه وأشكاله" : علي بن محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٩٩٠م، ج١ص٤٥٣.

تقرع كل باب مغلق، وترفع كل حجاب مضطلع، وتقيل كل عاثر...ولا غنى للأمير عن السيف والقلم معًا، وبذلك يصل ابن برد إلى التسوية بينهما وبيان أهمية كل منهما في الدولة؛ لئلا يتضاربا ويتنافسا تنافسًا يفتُّ في عضد الدولة ويهدم أركانها. فقررا التحاكم إليه والانصياع لحكمه، فحكمه أفضل ثوب يُرتدَى، وأهدى سبيل يُقصد، وأصفى منهل يُورَد، قال ابن برد: **(ولما كثر تعارضهما، وطال تراوضهما، وقابل كل واحد منهما بجمعه جمعاً، وقرع بنبعه نبعاً، ولم ينثن أحد الصارمين كهاماً، ولا ارتد أحد العارضين جهاماً، تبادرا إلى السلم يعقدان لواءهما، وإلى المؤالفة يردان ماءها؛ وقالا: إن من القبيح أن تتشتت أهواؤنا، وتتفرق آراؤنا، وقد جمعنا الله في المألف الكريم، وأحلنا بمحل غير ذميم، بأعلى يد نالت آمالها، ووافت المطالب في أوطانها، ولم تقابل باباً مغلقاً إلا قرعته، ولا حجاباً مضلعاً إلا رفعته، ولا جداً عاثراً إلا أقالته، ولا أملاً غائراً إلا أسالته تلك يد الموفق أبي الجيش مولى المعالي ومسترقها، ومستوجب المكارم ومستحقها، العاقد لواء المجد بذوائب السِّماك، والمطل بفخره على الأفلاك، والمقدم إذا أحجمت الأبطال، والضاحك إذا بكت الآجال... فإذا قد عدل بيننا بكمه، يوم وغاه ويوم سلمه، فجاوز بك حد المسالمة، وجاوز بي حد المشارسة، ولم يثنك حتى بلغ مناه، ولم يثنني حتى وافق هواه، ولم يقصر بي عن غاية بلغك إليها، ولم يقدمك إلى مرتبة أخرني عنها، فأجمل رداء نرتديه، وأفضل حذاءٍ نحتذيه، وأهدى سبيل نقصده، وأصفى منهل نرده، مؤالفة نجرر ذيلها، ونميل ميلها، ومعاشرة نتجانى ثمارها، ونتعاطى عقارها، وذنوب نخلي أوطانها، ونهدم بنيانها، ودمن نعفي دمنها، ونرد في أجفانها وسنها).**

ثم اقترح القلم على السيف أن يُبرما عقدًا يدونان فيه مبادئ اتفاقهما على الائتلاف ونبذ كل خصام وتشتيت للشمل، فوافق السيف على ذلك، علـــى أن يتولى القلم تحرير هذه المعاهدة، فرأى القلم أن تكون شعرًا، **(قال القلـــم: إن مما نبرم به عقدنا وننظم عقدنا، ويستظهر به بعضنا على بعض، إن حالـــت حال، كان للدهر انتقال، أن نخط كتاباً مصيباً، يكون لنا منابأ وعلينا رقيبـــاً، فقد يدب الدهر بعقاربه، بين المرء وأقاربه، ويسعى بالنميمة، بين الفرعين من الأرومة.**

فقال السيف: أنت والبيان، وجرياً والميدان.

فقال القلم: إن النثر في ذلك مثل يسير، وإن الشعر في ذلك ذكر خطير، وإن لشدو الحادي، وزاد الرائح والغادي. وأختاره على النثر، تنويهاً بالذكر، فقال: (البسيط)

قد آن للسيف ألا يفضـــل القلمـــا	مذ سُخِّرا لفتىً حاز العلـــى بِهِمـــا
إن يُجتنى المجد غضاً مـــن كمائمـــه	فإنما يجتنى من بعض غرســـهما
ما جاريا أملاً فوافيـــا أمـــداً	إلا وكانت خصال السبق بينهمـــا
سقاهما الدهر من تشتيته جرعـــاً	ولليالي صروف تقطع الرحمـــا
حتى إذا نام طرف الجهل وانتبهـــت	عين النهى قرعا سنيهما ندما
راحا بكف أبي الجيش التـــي خَلَقَـــت	غمامة كل حين تمطر النعمـــا
فعاد حلبهما المنبـــت منعقـــداً	وراح شملهما المنفض ملتئما
يا أيها الملك الســـامي بهمتـــه	إلى سماء علاً قد أعيت الهممـــا
لولا طلابي غريب المدح فيـــك لمـــا	وصفت قبل علاك السيف والقلمـــا
وإنما كان تعريضاً كشـــفت بـــه	من البلاغة وجهاً كان ملتثمـــا

وفي الكلام تلميح يغني عن تصريح، فابن برد لمح عن نفسه، وأبان عن شخصه أمام الحاكم العادل، فهو صاحب القلم، بل هو القلم نفسه.

ثانيًا: مفاخرة القلقشندي

- **العنوان**

إن أول ما يلفت النظر في مفاخرة القلقشندي هو استهلاله بعنوان المفاخرة، وتاريخ تأليفها، والغرض من إنشائها، حيث قال: **(هذه رسالة في المفاخرة بين السّيف والقلم، أنشأتها للمقرّ الزّيني أبي يزيد الدّوادار الظّاهريّ، في شهور سنة أربع وتسعين وسبعمائة، وسمّيتها: «حلية الفضل وزينة الكرم، في المفاخرة بين السّيف والقلم»)**[(١)]، والعنوان يمثل بنية نصية تختزل مضمون العمل في تركيب لغوي شديد الإيجاز عميق الدلالة، كما أنه " للكتاب كالاسم للشيء، به يُعرف وبفضله يُتداول، ويُشار به إليه، ويُدلّ به عليه"[(٢)]، والعنوان يقدم نفسه على أنه مفتاح تأويلي" يسعى إلى ربط القارئ بنسيج النص الداخلي والخارجي ربطًا من العنوان الجسر الذي يمر عليه"[(٣)]. كما أنه ذو فاعليه كبيرة عند تلقي النص، " فهو أول شيفرة رمزية ... يلتقي بها القارئ، وهو أول ما يشدّ انتباهه، ويجب التركيز عليه وفحصه وتحليله، بوصفه نصًّا أوليًّا يشير، أو يُخبر، أو يوحي بما سيأتي. وعلى القراءة، باعتبارها تلقيًا منهجيًّا، أنْ تلتفت إلى العنوان محاولةً ربطه بجسد النص، وهنا تبدأ عملية تأويل العنوان وبناء نصيّته"[(٤)].

---

(١) ينظر مفاخرة القلقشندي كاملة في: صبح الأعشى، ج١٤ ص٢٣١-٢٤٠

(٢) العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص١٧

(٣) هوية العلاقات في العتبات وبناء التأويل: شعيب حليفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الأولى، ٢٠٠٤م، ص٢٥

(٤) سيمياء العنوان: بسام موسى قطوس، وزارة الثقافة، عمان-الأردن، الأولى، ٢٠٠١م، ص٥٣

والعنوان الذي وضعه القلقشندي يمثل اختصارًا لفكرة المفاخرة وهدفها ومضمونها، ويجعل المتلقي يلج إلى عالم النص ولديه تصور عن موضوع المفاخرة، **ومباشرة نص المفاخرة تضافرت مع العنوان،** وانتشار دلالاته داخله أسهمت في ذلك التصور، فالعنوان إذن يحيط بنص المفاخرة من معظم جوانبها، ودلالة العنوان موزعة على أهداف المفاخرة ومقاصدها التي بمجرد الوقوف عليها وقراءتها نكشف مبررًا قويًا لاختيار هذا العنوان الذي يمثل اختصارًا لفكرة المفاخرة وهدفها ومضمونها.

- **المقدمة**

عني النقاد بمطلع النص الأدبي عناية فائقة، واهتم به الأدباء اهتمامًا بالغًا ، وبذلوا غاية الجهد في إتقانه وإجادته؛ لأنه يمثل الأثر النفسي الأول لدى المتلقي، فهو أول ما يقرع سمعه أو تقع عليه عينه، وبناء على ذلك يستمر مع النص إذا كان المطلع جيدًا آسرًا، أو ينقطع عنه إذا كان ضعيفًا فاترًا، وبناءً على ذلك اهتم القلقشندي بمطلع المفاخرة، حين بدأها بتحميد يتضمن الحمد والثناء على الله، والصلاة على رسوله – صلى الله عليه وسلم– ، فقال: **(الحمد لله الذي أعزّ السّيف وشرّف القلم، وأفردهما برتب العلياء فقرن لهما بين المجد والكرم، وساوى بينهما في القسمة فهذا للحُكم وهذا للحِكم. أحمده على أن جمع بخير أمير بعد التّفرّق شملهما، ووصل بأعزّ مليك بعد التّقاطع حبلهما، وأرغب إليه بشكر يكاثر النجوم في عديدها، ويكون للنّعمة على ممرّ الزّمان أبا يزيدها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يأتمّ الإخلاص بمذهبها، ولا ينجو من سيفها إلا من أجاب داعيها وأقرّبها، وأن محمدا عبده ورسوله الذي خصّ بأشرف المناقب**

وأفضل المآثر، واستأثر بالسؤدد في الدّارين فحاز أفخر المعالي ونال أعلى المفاخر...).

اتسم المطلع عند القلقشندي ببراعة الاستهلال، حيث تضمَّن مطلع المفاخرة الإشارة إلى مضمونها، والغرض من تأليفها، وهذا ما أكد عليه النقاد ومنهم ابن الأثير الذي قال: " من الأركان التي لا بدّ من إيداعها في كل كتاب بلاغي ذي شأن خمسة منها: **الأول:** أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة؛ فإن الكاتب من أجاد المطلع والمقطع، أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب، ولهذا باب يسمى باب المبادي والافتتاحات فليحذ حذوه، وهذا الركن يشترك فيه الكاتب والشاعر. والركن **الثاني:** أن يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتقًا من المعنى الذي بني عليه الكتاب"(١).

ومطلع هذه المفاخرة تضمن الإشارة والإشادة بالسيف والقلم، فهما متحدان في الرتبة والمكانة العالية، متفردان مقترنان في المجد والسيادة، فالسيف رمز القوة للحكم والسلطة، والقلم رمز العلم، وهما للدولة كجناحي طائر، فلا غنى عنهما معًا.

ومن براعة الاستهلال أن القلقشندي التفت في مطلع مفاخرته إلى الممدوح المخاطَب بهذه الرسالة (أبي يزيد)، فهو يحمل شرف الأداتين معًا – السيف والقلم–، ويجمع فضليهما.

وبرع كذلك في التخلص من المقدمة إلى الموضوع بالإشارة إلى أن المنافسة بين السيف والقلم نابعة من تنافس الأشراف، فقد تقاربا في الرتبة، واجتمعا في مقام الرفعة، وتواردا على المجد، وكلاهما له مكانة أثيرة، ومنزلة

(١) المثل السائر: ابن الأثير، ص ٨٧

كبيرة، وأهمية بالغة، والعلاقة بينهما قائمة على الالتحام والالتصاق، وهذا ما أوجب تحاسدهما، وأشعل نار المنافسة بينهما، فكل منهما يسعى لإحراز السبق في ميدان المنافسة؛ ليكون نجمه هو الطالع الذي لا يأفل، وسؤدده هو الحاكم الذي لا يُعزَل، قال القلقشندي: **(وبعد، فإنّه ما تقارب اثنان في الرّتبة إلا تحاسدا، ولا اجتمعا في مقام رفعة إلا ازدحما على المجد وتواردا، ورام كلّ منهما أن يكون هو الفائز بالقدح المعلّى، وأن يكون مفرقه هو المتوّج وجيده هو المحلّى، وادّعى كلّ منهما أن جواده هو السابق في حلبة السّباق، والفائز بقصب السّبق بالاتّفاق، وأن نجمه هو الطالع الذي لا يأفل، وسؤدده هو الحاكم الذي لا يعزل).**

- **المضمون**

جعل القلقشندي البداية للقلم شأنه شأن ابن برد، ولا غرابة في ذلك، فالقلم يرمز له باعتباره واحدًا من كبار الكُتّاب الإنشاء في عصره وفي التراث الأدبي كله. تكلم القلم في عزم صادق دون توقف وبلا تلعثم، واحتج على السيف بما شرَّفه الله به من مناقب وفضائل، فهو أول ما خلق الله، وبه أقسم، وأوكل الله إليه أشرف الأعمال وأعلاها قدرًا، قال القلقشندي: **(بدأ القلم فتكلم، ومضى في الكلام بصدق عزم فما توقف ولا تلعثم، فقال: باسم الله تعالى أستفتح، وبحمده أتيمّن وأستنجح؛ إذ من شأني الكتابة، ومن فنّي الخطابة؛ وكلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله تعالى فهو أجذم[1]، وكلّ كلام لا يفتتح بحمده فأساسه غير محكم ورداؤه غير معلم؛ والعاقل من أتى الأمر من**

(١) اقتباس من الحديث: عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–:" كلُّ كلامٍ لا يُبدَأُ فيهِ بالحمدُ لله فهو أجذَمُ" سنن أبي داود: أبو داود ت ٢٧٥هـ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية،الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، رقم (٤٨٤٠)

فصّه[١]، وأخذ الحديث بنصّه؛ والحقّ أحقّ أن يتّبع، والباطل أجدر أن يترك فلا يصغى إليه ولا يستمع؛ إني لأوّل مخلوق بالنّص الثابت والحجّة القاطعة[٢]، والمستحقّ لفضل السّبق من غير منازعة؛ أقسم الله تعالى بي في كتابه، وشرّفني بالذّكر في كلامه لرسوله وخطابه، فقال جلّ من قائل: (ن وَالْقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)[٣] ، وقال جلّت قدرته: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ)[٤]، فكان لي من الفضل وافر القسمة، وخصصت بكمال المعرفة فجمعت شوارد العلوم وكنت قيّم الحكمة) .

فقام السيف مُكَبِّرًا يناقض القلم ويرد عليه ويفنّد حُجَجَه من خلال ما يلي:

(١) أبطل السيف حجج القلم وفنَّد ما استند إليه في الفضل قائلًا: إذا كان القلم أول مخلوق فلستَ أنتَ المقصود بذلك، وهذا يعكس قصور فهمك وضعف إدراكك.

(٢) احتج السيف بشرف النسبة إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقال مخاطبًا القلم: حسبك أن رسول الله كان أُمِّيًّا حُرِّم عليه خطّك، وحُرِمْتَ

---

(١) قولهم: يَأتِيكَ بِالأمر منْ فَصِّهِ، مثل يضرب للواقف على الحقائق، أي يأتيك بالأمر من مَفْصله، مأخوذ من فصوص العظام وهي مَفَاصلها، وأحدها فَصّ، قَالَ عبد الله بن جعفر: (المتقارب)

وَرُبَّ امْرِئ تَزدَرِيهِ العُيُونُ وَيَأتِيكَ بالأمر منْ فَصِّهِ

مجمع الأمثال ج٢ص٤١٨

(٢) اقتباس من الحديث: عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ". سنن أبي داود (٤٧٠٠)

(٣) سورة القلم:١-٢

(٤) سورة العلق : ١-٣

مسّ أنامله الشريفة. أما أنا فحظيتُ بهذا المقصد الأعلى، والشرف الأكبر، حيث لازمته في المواقع والوقائع: بدر، أُحد، حنين...

(٣) احتج السيف بفضل جنسه ومادة صنعه –الحديد– التي ذكرها الله في القرآن منبهًا على ما فيها من فوائد ومنافع، أما القلم فمن القصب كليل ضعيف يفنيه الحديد بريًا.

(قال السّيف: بسم الله والله أكبر: (نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ)[١]، لكلّ باغ مصرع، وللصّائل بالعدوان مهلك لا ينجو منه ولا ينجع؛ وفاتح باب الشّرّ يغلق به، وقادح زند الحرب يحرق بلهبه؛ أقول بموجب استدلالك، وأوجب الاعتراض عليك في مقالك: نعم أقسم الله تعالى بالقلم ولست بذلك، وكان أوّل مخلوق ولست المعنيّ بما هنالك؛ إنّ ذلك لمعنى يكلّ فهمك عن إدراكه، ويضلّ نجمك أن يسري في أفلاكه؛ وأنت وإن ذكرت في التنزيل، وتمسكت من الامتنان بك في قوله: (عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) بشبهة التّفضيل؛ فقد حرّم الله تعالى تعلّم خطّك على رسوله، وحرمك من مسّ أنامله الشريفة ما يؤسى على فوته ويسرّ بحصوله؛ لكنّي قد نلت في هذه الرتبة أسنى المقاصد، فشهدت معه من الوقائع ما لم تشاهد، وحلّاني من كفه شرفا لا يزول حليه أبدا، وقمت بنصره في كلّ معترك: وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا!!!؛ ذكر الله تعالى في القرآن الكريم جنسي الذي أنا نوعه الأكبر، ونبّه على ما فيه من المنافع التي هي من نفعك أعمّ وأشهر، وما اجتمع فيه من عظيمي الشّدّة والباس، فقال تقدّست عظمته: (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)[٢]. على أنك لو اعتبرت جنسي القصب والحديد، وعرفت الكليل

---

(١) سورة الصف: ١٣

(٢) سورة الحديد: آية ٢٥

منهما والجليد، لتحققت تسلط الحديد عليك قطّا وبريا، وتحكّمه فيك أمرا ونهيا).

فانبرى القلم يعيب على السيف استدلاله وينقض حججه بأنه فرِّ في استدلاله من عدل الشريعة إلى الطبيعة، وافتخر بحيفه وظلمه وعدوانه وبأسه الذي أحدث الجفاء، وكدَّر الصفاء، فما شرٌّ إلا هو فاتحٌ بابه، ولا فتنة إلا هو مشعل نارها، ولا حرب إلا هو واصل أسبابها، ثم خلص القلم من هجاء السيف ونقض حججه إلى الفخر بنفسه وذِكر فضائله ومناقبه، فهو نقيض السيف، إذ الحقُّ مذهبه، والصدق مركبه، والعدل شيمته، يحكم بالقسط، ويحفظ ما استُحْفِظ، ولا يفشي سرًّا، ولا يتكتم علمًا، يفتقر الناس إليه، ويتكسبون بما لديه، **(قال القلم: فررت من الشريعة وعدلها، وعوّلت على الطبيعة وجهلها، فافتخرت بحيفك وعدوانك، واعتمدت في الفضل على تعدّيك وطغيانك، فملت إلى الظّلم الذي هو إليك أقرب، وغلب عليك طبعك في الجور: و«الطّبع أغلب» ؛ فلا فتنة إلا وأنت أساسها، ولا غارة إلا وأنت رأسها، ولا شرّ إلا وأنت فاتح بابه، ولا حرب إلا وأنت واصل أسبابه؛ تؤكّد مواقع الجفاء، وتكدّر أوقات الصّفاء، وتؤثّر القساوة، وتؤثر العدواة؛ أما أنا فالحقّ مذهبي، والصّدق مركبي، والعدل شيمتي، وحلية الفضل زينتي؛ إن حكمت أقسطت، وإن استحفظت حفظت وما فرّطت؛ لا أفشي سرّا يريد صاحبه كتمه، ولا أكتم علما يبتغي متعلّمه علمه؛ مع عموم الحاجة إليّ، والافتقار إلى علمي والاكتساب مما لديّ؛ أدير في القرطاس كاسات خمري فأزري بالمزامير وأهزأ بالمزاهر، وأنفث فيه سحر بياني فألعب بالألباب وأستجلب الخواطر، وأنفذ جيوش سطوري على بعد فأهزم العساكر:**

فلكم يفلّ الجيش وهو عرمرم والبيض ما سلّت من الأغماد![١])

فاستشاط السيف غضبًا، وهاجم القلم هجومًا ساخرًا قائلاً: أطلت الغيبة وجئت بالخيبة، ثم مضى يرد على القلم بذكر فضائله ومناقبه، فصحبة السيف أمن من المهالك، وفيه عزٌّ لمن تقلده، وحرز لمن توسده، أمره مُطَاع، وحُكمه مُتَّبَع، وقوله مسموع، وهو مفتاح النصر ومصباح الدجى. وفي لهجة ساخرة استبعد السيف أن يفاخره القلم ويساجله مع عُرِيِّ جسمه، ونحافة بدنه، وبخس ثمنه، وقصر عمره، وسرعة تلفه، وسيلان دمعه –أي مداده–، يقصد بذلك خلوِّه من صفات القوة والبأس التي عُرف بها السيف، **(قال السّيف: أطلت الغيبة، وجئت بالخيبة، وسكتّ ألفا، ونطقت خلفا.**

السّيف أصدق أنباء من الكتب في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب[٢]

إنّ نجادي لحلية للعواتق، ومصاحبتي آمنة من البوائق؛ ما تقلّدني عاتق إلا بات عزيزا، ولا توسّدني ساعد إلا كنت له حرزا حريزا؛ أمري المطاع وقولي المستمع، ورأيي المصوّب وحكمي المتّبع؛ لم أزل للنّصر مفتاحا، وللظلام مصباحا، وللعزّ قائدا، وللعداة ذائدا؛ فأنّى لك بمساجلتي، ومقاومتي في الفخر ومنافرتي؟ مع عري جسمك ونحافة بدنك، وإسراع تلافك وقصر زمنك، وبخس أثمانك على بعد وطنك، وما أنت عليه من جري دمعك، وضيق ذرعك، وتفرّق جمعك، وقصر باعك، وقلّة أتباعك).

---

(١) البيت من (الكامل) وينسب لأبي سعيد الآلوسي (المؤيد بن عطاف ت ٥٥٧ه)، معجم الأدباء، ج٦ص٢٧٣٨، وفيات الأعيان، ج٥ص٣٤٤

(٢) البيت من (البسيط) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق. محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، الخامسة، ج١ص٤٠

وهكذا تمضي المفاخرة بينهما ويطول الجدال بين السيف والقلم، كلٌّ منهما يذكر فضائله ومآثره ومناقبه، ويهجو الآخر وينتقصه وينتقضه ويذكر معايبه ومثالبه.

- **خاتمة المفاخرة**

وصل السيف والقلم إلى نقطة لا يجد أحدهما فيها على الآخر سبيلًا، ولم يعترف أحدهما للآخر بفضل، وهنا يقرران معًا البحث عن بديل لهذه المفاخرة، فانبرى القلم بما له من رقة الطبع، وحسن المورد، وجميل المقصد؛ ليكون صاحب المبادرة والسبق في الجنوح إلى السلم والدعوة إلى الصلح، فأقبل على السيف بقلب صافٍ، ولسان رطب غير جافٍ يدعوه إلى المصالحة بعد أن طالت بينهما المفاخرة والمجادلة، وكثرت المراجعة والمقاولة، مع ما بينهما من قرابة في الشرف، وشراكة في المجد والكرم، ولا يستطيع أحدهما أن يستقل بنفسه، وأن يأنس بغير صاحبه، فافتراقهما يشمت العدو ويغم الصديق، قال القلقشندي: **(وأراد القلم أن يأخذ في الكلام، ويرجع إلى الجدال والخصام، فغلب عليه رقّة طبعه وحسن موارده، وسلاسة قياده وجميل مقاصده، فمال إلى الصّلح وجنح إلى السّلم، وأعرض عن الجهل وتمسّك بالحلم، وأقبل على السّيف بقلب صاف، ولسان رطب غير جاف، فقال: قد طالت بيننا المجادلة، وكثرت المراجعة والمقاولة، مع ما بيننا من قرابة الشّرف، وأخذ كلّ منّا من الفضل بطرف؛ فنحن في الكرم شقيقان، وفي المجد رفيقان؛ لا يستقلّ أحدنا بنفسه، ولا يأنس بغير صاحبه وإن كان من غير جنسه؛ وقد حلبت الدّهر أشطره[1]، وعلمت أصفاه وأكدره، وقلّبته ظهرا**

---

(١) قولهم: حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ. هذا مستعار من حَلَبَ أَشْطُرُ الناقة، وذلك إذا حلب خِلْفَين من أخلافها، ثم يحلبها الثانية خِلْفَيْن أيضا، ونصب "أَشْطُرَه" على البدل، فكأنه قال: حلَبَ أَشْطُرَ الدهر، والمعنى أنه اخْتَبَر الدهْرَ شطرى خيره وشره، فعرف ما فيه. يضرب فيمن جَرَّبَ الدهر. جمهرة الأمثال للعسكري ، ج١ص٣٤٦، مجمع الأمثال للميداني، ج١ص١٩٥

وبطنا، وجبت فيافيه سهلا وحزنا؛ وإنّ معاداة الرّفيق، ومباينة الشّقيق، توجب شماتة العدوّ وتغمّ الصديق؛ فهل لك أن تعقد للصلح عقدا لا يتعدّى حدّه، ولا يحلّ على طول الزّمان عقده؟ لنكون أبدا متآلفين، وعلى السّرّاء والضّرّاء متصاحبين، حتى لا يضرب بنديمي جذيمة مع اصطحابنا مثل، ولا يتشبّه بنا الفرقدان إلا باءا بالخطل.

ولست بمستبق أخا لا تلمّه على شعث، أيّ الرّجال المهذّب[١])

وتقديم الكاتب للقلم؛ ليكون صاحب المبادرة والسبق في عقد لواء الصلح ليس من قبيل المصادفة، بل هي نزعة تسيطر على العقل الباطن للكاتب تعكس ميله وانحيازه لأصحاب القلم، لاسيما أنه واحد من المُبْرَزين من الكُتّاب في عصره.

وقبل السيف من القلم دعوته، وأخذ بمشورته، **(قال السّيف: لقد رأيت صوابا، ورفعت عن وجه المحجّة نقابا، وسريت أحسن مسرى وسرت أجمل سير، وصحبك التّوفيق فأشرت بالصّلح: (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)[٢]**.

وقد يجمع الله الشّتيتين بعدما يظنّان كلّ الظّنّ أن لا تلاقيا![٣])

اتفق السيف والقلم على أن يكون بينهما حكم؛ ليرجعا إليه ويظفرا بكمال الرفعة، وزيادة الشرف، ولا يكون ذلك الحكم سوى المقرّ الزيني أبي يزيد

---

(١) البيت من الطويل، ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الثالثة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص ٢٨

(٢) سورة النساء: ١٢٨

(٣) البيت من الطويل: ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلي) ت٦٨هـ، دراسة وتعليق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص١٢٢، ويُنسب البيت أيضًا لقيس بن ذريح، ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى) ت٦٨هـ، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ص١٢٣

الدوادار الظاهري، **وهنا يظهر دور الكاتب بين طرفي المفاخرة؛ لتحقيق الهدف منها**، وهو مدح المقر الزيني، فجمع له كل ما يمكن أن يُمدَح به من كان في مثل منزلته، وحشد له النعوت والألقاب التي تناسب رتبته، فقال: **(ثم قالا: لا بدّ من حكم يكون الصّلح على يديه، وحاكم نرجع في ذلك إليه، لنحظى بزيادة الشّرف، ونظفر من كمال الرّفعة بغرف من فوقها غرف؛ ولسنا بفائزين بطلبتنا، وظافرين ببغيتنا، إلا لدى السّيّد الأكمل، والمالك الأفضل... المقرّ الكريم، العاليّ، المولويّ، الزّينيّ، أبي يزيد الدّوادار الظّاهريّ: ضاعف الله تعالى حسناته المتكاثرة، وزاده رفعة في الدّارين ليجمع له الارتقاء بين منازل الدّنيا والآخرة؛ فهو قطب المملكة الذي عليه تدور، وفارسها الأروع وأسدها الهصور... والجدير بمعرفة أقوالها وأفعالها، وترجمانها المتكلّم بلسانها، وعالمها المتفنّن في أفنانها، وطبيبها العارف بطبّها، ومنجدها الكاشف لكربها... فلا يسمح الزمان أن يأتي له بنظير، ولا أراد مدّع بلوغ شأوه إلا قيل: اتّئد فلقد حاولت الانتهاض بجناح كسير:**

فحيّهلا بالمكرمات وبالعلى وحيّهلا بالفضل والسّؤدد المحض[1]

فالحمد لله الذي جمعنا بأكرم محلّ وأفضل، وأحسن مقام وأجمل؛ فهلمّ إليه يعقد بيننا عقد الصّلح، ونبايعه على ملازمة الخدمة والنّصح).

ثم كتبا كتابًا تضمن المعاهدة بينهما على الصلح والمصافاة والود والموافاة، **وهنا يُدخل الكاتب شخصيةً جديدة في المفاخرة**، وهي شخصية

---

(١) البيت من الطويل، ذكره القلقشندي في ثلاثة مواضع من كتابه صبح الأعشى، ولم أقف على قائله، ويبدو أنه من نظمه.

المنشد الذي ينشد أربعة أبيات تتضمن مديح المقر الزيني، وبهذا ختمت المفاخرة كما بدأت بالمديح، قال القلقشندي: **(ثم لم يلبثا أن كتبا بينهما كتابا بالصّلح والمصافاة، وتعاهدا على الودّ والموافاة، وأعلن بعقد الصّلح مناديهما، وحدا بذكر التّعاضد والتّناصر حاديهما، وراح ينشد:**

حسم الصّلح ما اشتهته الأعادي وأذاعته ألسن الحسّاد[١]!

وزالت عنهما الأحقاد والإحن، وباتا في أعزّ مكان وأشرف وطن، وثلّث قرانهما فأسعد، ثم قام منشدهما فأنشد:

لا يُنكَرُ الصّلحُ بين السّيف والقلمِ فعاقدُ الصّلح عالي القدر والهِممِ!
أبو يزيد نظامُ الملكِ مالكُنا وواصلُ العلم في عَلياه بالعَلَمِ.
فهو المرادُ بما أُبْدِيه من مدحٍ وغايةُ القصد من ترتيب ذا الكلم!
وإن جرى مدحُ سيفٍ أو عَلا قلمٌ، فذاك وصفٌ لما قد حاز من كرم[٢]!)[٣]

---

(١) البيت من الخفيف، شرح ديوان المتنبي ت٣٥٤هـ: عبد الرحمن البرقوقي، ج٢ص١٣١

(٢) الأبيات من البسيط، وهي من نظم القلقشندي كما صرّح بعد ذلك.

(٣) صبح الأعشى، ج١٤ ص٢٤٠

المبحث الثالث

أوجه المشابهة بين مفاخرة ابن برد ومفاخرة القلقشندي

لا شك في أن ابن برد صاحب المبادرة والسبق في نقل المفاخرة بين السيف والقلم من ثوبها الشعري الذي كانت عليه في المشرق إلى ثوبها النثري، وابن برد كاتب كبير ذو شهرة واسعة، عمَّ ذِكرُه الأندلسَ والمشرق، ذاع صيته وبلغ أدبُه الآفاق، ونقل عنه كبار المشارقة، وحذا حذوه بعض المشارقة في كتابة المفاخرات النثرية المُثرية بين السيف والقلم، ولسنا نشك في أن القلقشندي واحد من أولئك الذين تأثروا بمفاخرة السيف والقلم لابن برد، لاسيما أن القلقشندي ذَكر أن هناك من سبقوه إلى هذا الأمر، فقال: " المفاخرة بين السّيف والقلم قد أكثر الناس منها: فمن عال وهابط، وصاعد وساقط"(١). ولا ريب في أن ابن برد واحد من أولئك المُبْرَزين في هذا الشأن.

وقراءتنا لمفاخرة السيف والقلم عند القلقشندي وتحليل مضمونها تجعلنا نخالف المعهود بأن الأندلسيين تأثروا المشارقة، **فالمشارقة هنا هم مَن تأثروا بالأندلسيين**، والقلقشندي واحد من كبار الكُتاب المشارقة ربما جعل مفاخرة ابن برد نصب عينيه، أو أنها اختمرت في ذهنه فمضى يعارضها وينسج على منوالها، وهذا يبدو جليًا من قراءتنا لبنية المفاخرة ومضمونها، ويمكننا حصر بعض نقاط التشابه بين المفاخرتين فيما يلي:

---

(١) صبح الأعشى: القلقشندي، ج١٤ ص٢٣١

أولًا: التشابه بين المفاخرتين في الرمزية والخطاب المضمر

يشكل الرمز عنصرًا فاعلًا ومهمًا في العمل الأدبي، وتعد قراءة النص الأدبي بفكّ رموزه إحدى الطرق التي يُستعان بها في فهم النص، والرمز كما عرّفه معجم مصطلحات الأدب " هو كل ما يحلّ محلّ شيء آخر في الدلالة عليه ليس بطريق المطابقة التامة، وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها، وعادة ما يكون الرمز بهذا المعنى شيئًا ملموسًا يحل محل المجرّد"(١)، وهذا يعني أن الرمز إيحاء بعيد عن التصريح، وعلى الأديب الاحتراز في استعمال الرمز؛ وذلك لأنه لابد من وجود علاقة عرضية أو متعارف عليها بين كل من: الرمز والمرموز، وإلا فلن يفهم الرمز ولن تتحقق الغاية والهدف منه، فالرمز إذن أسلوب يلجأ إليه الأديب؛ ليعبر عما في وجدانه بطريقة إيحائية بعيدة عن التصريح والتقريرية، وبذلك أصبح للرمز قيمة جمالية، ووظيفة أدبية، وتأثير في نفس المتلقي.

والمفاخرتان اللتان بين أيدينا لابن برد والقلقشندي تحملان ثنائية رمزية تشكلت من: السيف رمز القوة والسلطة، والقلم رمز العلم والحكمة والثقافة، ومعلوم أن " القلم يخدم السيف، ولولا هذه الخدمة لما ظل القلم في رحاب السيف، ولكن القلم يقاوم هذا الإذعان، ويسعى لتعزيز محله أمام السيف بأشكال خفية متنوعة، منها هذه الثنائية الرمزية التي تشكلت من: القوة/ السيف، والحكمة/ القلم"(٢).

---

(١) الرموز في " الفن – الأديان – الحياة ": فيليب سيرنج، ترجمة. عبد الهادي عباس، دار دمشق – سورية ، الأولى، ١٩٩٢م،ص ٦

(٢) صراع السيف والقلم ودلالته في الشعر العباسي: إبراهيم بن محمد أباغي، ص٢٩٢

ولهذا لم يقتصر الكاتبان على المديح فقط، بل ضمنا الرسالة **شكوى مبطنّة** من التفرقة بين الجند والكُتَاب في عصري: **ملوك الطوائف بالأندلس والمماليك في المشرق**، حيث تفوق الجند أرباب السيف على الكُتاب وأرباب الفكر أصحاب القلم، وكانت مرتبة أصحاب القلم أقل من مرتبة أصحاب السيف، ولم يشأ الكاتبان أن يُصَرِّحا بذلك تصريحًا مباشرًا فاستعانا بالرمز الفني في اجتماع يصور تنافس السيف والقلم إشارة منهما إلى الجند ومنازلهم الرفيعة، وأهل الفكر ومراتبهم المتدنية.

ومما لا ريب فيه أن الكاتبين كانا على وعي بهذا المنحى الرمزي، وأنهما قصدا إليه قصدًا بدليل توفيقهما بين السيف والقلم في ختام المفاخرتين، وعقد المودة بينهما؛ لأنها يرمزان إلى خصال الممدوح الذي يراه ابن برد جامعًا للسيف والقلم معًا، بينما يرمز القلم عند القلقشندي إلى ممدوحه الذي حاز منزلة كبيرة ومكانة أثيرة لدى السلطان المملوكي آنذاك بفضل ما أوتي من فصاحة وبلاغة وعلم وفهم أهّلَه لهذا المنصب الذي يسهم إسهامًا كبيرًا في إدارة شؤون الدولة، وتدبير أمورها، وصناعة القرار السياسي شأنه كشأن رجال الحرب آنذاك.

إذن رمزية السيف والقلم تمثل صورة من صور مقاومة أرباب الفكر والحكمة أصحاب القلم؛ لضعف مكانتهم وتزعزع منزلتهم وتراجعها أمام أصحاب السيف أرباب القوة والسلطة التي صارت في هذين العصرين **(ملوك الطوائف في الأندلس – والمماليك في المشرق)** سلطة مركزية منظمة لا تقتصر على قوة السيف فحسب، بل صارت تتميز بالعلم والمعرفة واستقطاب أرباب العلوم والفنون والآداب من كل حدب وصوب، ولهذا كان لا بد أن

يُؤتَى الكُتاب مكانة تليق بهم ومنزلة تناسب الدور الذي يقومون به في الدولة، فيكونون على درجة توازي الجندَ أصحاب السيف.

وقد أجاد الكاتبان وأحسنا في تشخيص الرمزين – السيف والقلم– وإكسابهما أبعادًا إنسانية استطاعا من خلالها نقل المتلقي إلى الواقع وغمسه، فصار يشعر أن موضع الخلاف بين الرمزين له مكانة في الواقع وتأثير فيه.

ثانيًا: التشابه بين المفاخرتين في البناء الفني والمضمون

يعتمد البناء الفني للمفاخرة على: مقدمة، ومضمون، وخاتمة، وتأسيسًا على ذلك يمكن حصر بعض نقاط التشابه بين المفاخرتين فيما يلي:

- **التشابه في المقدمة**

تتشابه المفاخرتان في المقدمة، حيث استهل كل من الكاتبين المفاخرة بمقدمة أو تمهيد يثير المتلقي، فلا يزال من يطالع هذا التقديم ينظر بشغف عمن سيكون الحديث، ثم بين كل منهما قيمة السيف والقلم ومكانتهما، وما لهما من أهمية بالغة، وأنه لا غنى لأحدهما عن الآخر، فهما متحدان في الرتبة والمكانة العالية والمنزلة الرفيعة، مقترنان في المجد والسيادة، فالسيف رمز القوة والسلطة، والقلم رمز العلم والحكمة، وهما للدولة كجناحي طائر، فلا غنى عنهما معًا.

- **التشابه في حسن التخلص**

شابه القلقشنديُّ ابنَ برد في التخلص من المقدمة إلى المضمون بالإشارة إلى أن المنافسة بين السيف والقلم نابعة من تنافس الأشراف، فقد تقاربا في الرتبة، واجتمعا في مقام الرفعة، وتقارُب الاثنين في المجانسة هو ما أشعل نار المنافسة بينهما، فكل منهما يسعى لإحراز السبق في ميدان المنافسة.

- **التشابه في المضمون**

يتشابه مضمون مفاخرة القلقشندي مع مضمون مفاخرة ابن بـــرد فـــي وجوه منها:

(١) سيطرة النزعة الذاتية للكاتبين على مضمون المفاخرتين

يُلاحظ أن الكاتبين وإن بدا كل منهما حريصًا على إظهار الحيادية بين السيف والقلم، وإعطاء كل منهما الفرصة لتقديم نفسه وعـــرض حججـــه، إلا أنهما تأثرا بالنزعة الذاتية لديهما، وما استطاعا التغلّب على هذه النزعة التي تؤثر القلم وتفضله على السيف، وتسعى من وراء هذه المفاخرة نحو إبـــرازه وتقديمه في الصورة الفضلى والمثلى أمام الممدوح؛ لينال المكانة المناسبة له والمنزلة اللائقة به، ولهذا انحرفا عن هذه الحيادية، وبدى الانحياز والمجاملة واضحة للقلم وما يرمز إليه، **فكلاهما جعل القلم صاحب المبادرة والسبق في المفاخرة**، وبذلك يصبح القلم في موقف الهجوم، بينما يصبح السيف في موقف الدفاع، وبعد طول محاورة ومجادلة ختم الكاتبان المفاخرتين بالدعوة إلى عقد الصلح وإبرام الهدنة بين السيف والقلم، وجعلا القلمَ صـــاحبَ الـــدعوة لعقـــد الصلح وحاملَ لواء الهدنة، **وبذلك يصبح القلم الأبرز والأفضـــل فـــي البـــدء والختام**، ويبدو أكثر تميزًا في عين الممدوح المخاطَب في المفـــاخرة، ممـــا يترتب عليه تغيير في موقفه العاطفي والفكري والسياسي تجاه أصحاب القلم.

(٢) التشابه بين مضمون المفاخرتين في المعاني والألفاظ

هناك تشابه كبير بين معاني المفاخرتين وألفاظهما، ومن الأمثلة على ذلك:

في مفاخرة ابن البرد قال القلمُ مخاطبًا الســـيف: " **تَسَـــوَّد مـــا بـــيض الصفاء، وتكدر ما أخلص الإخاء، وتوكد أسباب الفتن، وتضرب بقداح الفتن.**

الحق أبلج، والباطل لجلج، إن تأبى النصفة فإنها في قدحها لمأمونة الطائر، محسودة الباطن والظاهر. أحكم فأعدل، وأشهد فأقبل؛ وترحل عَزَمَاتي شرقاً وغرباً ولا أرحل؛ أعد فأفي، وأستكفى فأكفي، أحلب الغنى من ضروعه"(١).

وفي مفاخرة القلقشندي نجد المعنى نفسه مع تقارب الألفاظ عندما قال القلمُ مخاطبًا السيف: " **افتخرت بحيفك وعدوانك، واعتمدت في الفضل على تعدّيك وطغيانك، فملت إلى الظّلم الذي هو إليك أقرب، وغلب عليك طبعك في الجور... فلا فتنة إلا وأنت أساسها، ولا غارة إلا وأنت رأسها، ولا شرّ إلا وأنت فاتح بابه، ولا حرب إلا وأنت واصل أسبابه؛ تؤكّد مواقع الجفاء، وتكدّر أوقات الصّفاء، وتؤثّر القساوة، وتؤثر العدواة؛ أما أنا فالحقّ مذهبي، والصّدق مركبي، والعدل شيمتي، وحلية الفضل زينتي؛ إن حكمت أقسطت**"(٢).

ومثال آخر: في مفاخرة ابن برد قال السيفُ مخاطبًا القلم: " **إن الملوك لتبادر إلى دركي، ولتتحاسد في ملكي، ولتتوارثني على النسب، ولتغالي في على الحسب؛ فتكللني المرجان، وتنعلني العقيان، وتلحفني بخلل كحلل، وحمائل كخمائل، حتى أبرز براز الهندي يوم الجلاء، والروض غب السماء**"(٣).

وفي مفاخرة القلقشندي نجد المعنى نفسه مع تقارب الألفاظ عندما قال السيفُ مخاطبًا القلم: " **إن الملوك لتعدّني لمهمّاتها، وتستنجد بي في ملمّاتها، وتتعالى في نسبي، وتتغالى في حسبي، وتتنافس في قنيتي وتتحاسد،**

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام ، ق١ ج١ ص٥٢٥

(٢) صبح الأعشى: القلقشندي، ج١٤ص ٢٣٥

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام ، ق١ ج١ ص٥٢٤

وتجعلني عرضة لأيمانها فتتعاقد بالحلف عليّ وتتعاهد، وتدّخرني في خزائنها ادّخار الأعلاق، وتعدّني أنفس ذخائرها على الإطلاق، فتكلّلني الجواهر، وتحلّيني العقود فأظهر في أحسن المظاهر"(١).

(٣) اعتماد الحوار بين السيف والقلم في المفاخرتين على استراتيجية الإقناع

إن موضوع المفاخرتين حوار يتضمن المجادلة والمناظرة بين السيف والقلم اللذين دخلا حلبة المنافسة، وادّعى كل منهما التقدم والفضل على الآخر، معددًا مناقبه محصيًا فضائله وشمائله، وفي المقابل ذمّ خصمه وهجاه وانتقصه ونقض ما أتى به من فضائل لنفسه ومناقب. ومعلوم أن كاتبي هاتين المفاخرتين يتشابهان –إلى حد كبير– في الغاية والهدف منهما، وهو تغيير موقف الممدوح المخاطَب في المفاخرتين تجاه أصحاب القلم، ومن ثم اعتمد الحوار بين السيف والقلم على إحدى استراتيجيات الخطاب، **وهي استراتيجية الإقناع التي تأسست في المفاخرتين بناء على هدف الكاتبين منها**، وما يقصدان تحقيقه من التراسل والتواصل مع الممدوح المرسَل إليه (مجاهد العامري أو المقرّ الزيني) مع **إحداث تأثير وتغيير في الموقف العاطفي والفكري والسياسي** لدى الممدوح يترتب عليه إبراز مكانة أصحاب القلم، وبيان دورهم العظيم في الدولة، وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم، فاستراتيجية الإقناع" تسعى في إطارها العام إلى تحقيق أهداف المرسِل ومقاصده من الخطاب؛ لما لها من تأثير على المرسَل إليه، إلى جانب أنها تستعمل الحجج والأدلة، مما يضمن استمرارية الخطاب بين الطرفين، كما أنها شاملة في شتى المواقف التواصلية، فهي لا تختص بفئة دون أخرى من البشر... فهدفها إذن استمالة المرسل إليه والتأثير فيه أثناء العملية التواصلية، وهذا الأمر يتحقق

(١) صبح الأعشى: القلقشندي، ج١٤ص٢٣٦

بوسائل وتقنيات تتعلق في مجملها بمقاصد الخطاب، وبالمرسِل والمرسَل إليه ودوره في الخطاب المستعمل في سياق معين"[١].

ولهذا الغرض لجأ الكاتبان في مضمون المفاخرتين إلى تكثيف وسائل الإقناع؛ لتحقيق الغاية من المفاخرتين، والتأثير في الممدوح فكريًا وعاطفيًا، واستعانا في سبيل ذلك بوسائل لغوية وبلاغية كثيرة.

ويعد استلهام التراث الديني والأدبي أقوى وسائل الحجاج والإقناع التي استعان بها الكاتبان في منجزهما الأدبي على لسان السيف والقلم في إثبات حججهما وتقويتها؛ وذلك لما يحققه التراث من صدق فني يقرب العمل الأدبي من الواقع والحقيقة، فضلًا عما له من تأثير فكري وعاطفي في المخاطَب، حيث يسهم إسهامًا كبيرًا في إقناعه.

ويشكل استلهام النص الديني –القرآن والسنة– وتوظيفه في المفاخرتين تعزيزًا قويًا لبنيتهما الفنية، والدلالية، والحجاجية، والتأثيرية، فضلًا عما لهذه النصوص من زخم روحي يشيع في أجواء المفاخرتين، ومن ذلك:

أن ابن برد استشهد بالنص القرآني على لسان القلم؛ لتعزيز حجته، وإعطائه قوة تأثير أكبر، فقال على لسانه: " **والأفضل من فضله الله عز وجل في تنزيله، مقسماً به لرسوله ، فقال: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)**[٢] **، وقال: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)**[٣] **فجلّ من مقسم، وعزّ من قسم** "[٤].

---

(١) تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية " دراسة في الأهداف والوسائل" : حمدي منصور جودي، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد ٢١، ٢٠١٧م، ص ٩٢.

(٢) سورة القلم : آية ١

(٣) سورة العلق: آية ٣-٤

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام ، ق١ ج١ ص٥٢٤

والأمر نفسه في مفاخرة القلقشندي، حيث افتخر القلم بالشواهد الدينية نفسها التي استشهد بها القلم في مفاخرة ابن برد، فقال: " **إني لأوّل مخلوق بالنّص الثابت والحجّة القاطعة**[١]**، والمستحقّ لفضل السّبق من غير منازعة؛ أقسم الله تعالى بي في كتابه، وشرّفني بالذّكر في كلامه لرسوله وخطابه، فقال جلّ من قائل: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)**[٢] ، **وقال جلّت قدرته: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ)**[٣]**، فكان لي من الفضل وافر القسمة**"[٤].

فالقلم اتكأ في المفاخرتين على النص القرآني في إثبات الأفضلية لنفسه، حيث وجد في النص القرآني حجة قوية تدحض حجج السيف، ولا تدع مجالًا للنقاش والتحدي، فليس بعد كلام الله –عز وجلّ– كلام.

وكذلك اتكأ السيف على النص القرآني في إثبات فضله على القلم، ففي مفاخرة القلقشندي، قال السيف: " **ذكر الله تعالى في القرآن الكريم جنسي الذي أنا نوعه الأكبر، ونبّه على ما فيه من المنافع التي هي من نفعك أعمّ وأشهر، وما اجتمع فيه من عظيمي الشّدّة والباس، فقال تقدّست عظمته: (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)**[٥] "[٦].

---

(١) اقتباس من الحديث: عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ". سنن أبي داود (٤٧٠٠)

(٢) سورة القلم : ١–٢

(٣) سورة العلق ١–٣

(٤) صبح الأعشى، ج١٤ ص٢٣٣

(٥) سورة الحديد: آية ٢٥

(٦) صبح الأعشى، ج١٤ ص٢٣٤

واستلهم الأديبان النص الأدبي بجانب النص الديني؛ لتعزيز موقف المتفاخِرَيْن، وإثبات حججهما، وأبرز ما نلاحظه في المفاخرتين **احتجاج السيف والقلم بالمثل**، والمثل عبارة قصيرة، متينة الوصف والرصف، جيدة السبك والحبك، محكمة البناء، تختصر قصة أو حادثة، وتُقال في حوادث مماثلة لتلك الحوادث الأصلية التي تشير إليها الكلمة، فالمثل قول سائر يشبّه به حال الثاني (المضرب) بالأول (المورد)، ويشكل خلاصة تجارب مجتمعات وشعوب على اختلاف زمانها، ومكانها، وعاداتها، وتقاليدها، وعاداتها. ويسعى الأدباء نحو توظيف المثل والتمثل به فيما يبدعونه من نصوص شعرية ونثرية؛ لما يحويه من تجارب كثيرة تجعل الأمور مقترنة بعواقبها، والمقدمات متضمنة نتائجها؛ وذلك من القدرة الإيحائية للخلاصة التي تضمنها المثل.

وفي مفاخرة ابن برد احتج السيف على القلم بأنه الأقوى والأفضل مستعيناً في ذلك بجملة من الأمثال، قال: " **يالله! استنت الفصال حتى القرعى، ورب صلف تحت الراعدة؛ لقد تحاول امتداداً بباع قصيرة، وانتفاضاً بجناح كسيرة**"(١). قَوْله: استنت الفصال حَتَّى القرعى(٢)، مثل يضرب للذي يتكلم مع مَنْ لا ينبغي أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره، وكأنه يحتقر القلم بأنه لا يليق له الكلام معه، وقوله: رُبَّ صلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ(٣)، مثل يضرب للبخيل مع الوُجْدِ

---

(١) الذخيرة في حاسن أهل الجزيرة ، ق١ ج١ ص٢٢٥

(٢) القَرْعى: جمع قَرِيع مثل مَرْضَى ومَرِيض، وهو الذي به قَرَع، بالتحريك، وهو بَثْر أبيض يخرج بالفصال، ودواؤه المِلْحُ وحَبَابُ ألبان الإبل. جمهرة الأمثال العسكري، ج١ص١٠٨، مجمع الأمثال للميداني، ج١ص٣٣٣

(٣) قولهم: رُبَّ صلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ. مثل يضرب للبخيل مع الوُجْدِ والسَّعَة، والصَّلَف: قلة النزل والخير، والراعدة: السحابة ذاتُ الرعد. الأمثال لأبي عبيد، ص ٣٠٨، جمهرة الأمثال للعسكري، ج١ص٤٨٧، مجمع الأمثال للميداني، ج١ص٢٩٤

والسَّعَة، وفي ذلك احتقار للقلم أيضًا. وهكذا يمضي السيف في ذكر الأمثال التي يعضد بها حججه من أول المفاخرة إلى نهايتها، ومن ذلك قوله: "**جعجعة رحى لا يتبعها طحن**[١]، **وجلجلة رعد لا يليها مُزْن، في وجه مالك تعرف أَمَرته**[٢]؛ **وجه لئيم، وجسم سقيم، وغرب يُفَلّ ... أوحش من جوف العير**[٣]"[٤].

أما القلم فابن برد حرص على إبرازه أقوى حجة وأكثر أمثالًا، فحشد له مجموعة كبيرة من الأمثال التي أثبت بها فضله وعضَّد بها مناقبه، وردّ بها على السيف وفنَّد بها حججه، ومن ذلك قوله يخاطب السيف: " **نعوذ بالله من الحور بعد الكور**[٥]، **وقبحاً للتحلي بالجور... الحق أبلج، والباطل لجلج**[٦]...

---

(١) قَوْلهم: أسمع جعجعةً ولَا أرى طحناً، مَعْنَاهُ أسمع جلبةً ولَا أرى عملا، والجعجعة هَاهُنَا الصَّوْت. الأمثال لأبي عبيد، ص ٣٢١، جمهرة الأمثال للعسكري ، ج١ص١٥٤، مجمع الأمثال للميداني، ج١ص١٦٠

(٢) في وَجْهِ المَالِ تَعْرِفُ إمْرَتَهُ، أي نَماءه وخيَره، يُقَال: أَمِرَتْ أموالُ فلانٍ تَأمَرُ أمْراً، إذا نَمَتْ وكَثُرَت وكُثُر خيرها. يضرب لمن يُسْتَدَل بحسن ظاهره على حسن باطنه. جمهرة الأمثال للعسكري ، ج٢ ص٩٣، مجمع الأمثال للميداني، ج٢ص٦٩

(٣) يقال: أَخْلَى وأخرب مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ، قالوا: هو رجل من عاد، وجَوْفه: وادٍ كان يحله، ذو ماء وشجر، فخرج بنوه يتصيدون، فأصابتهم صاعقة فأهلكتهم، فكفر وقال: لا أعبد ربا فعل ذا ببنيَّ، ثم دعا قومَه إلى الكفر، فمن عَصَاه قتله، فأهلكه الله وأخرب واديه، فضربت العرب به المثل في الخراب والخلاء. مجمع الأمثال للميداني، ج١ص٢٥٧

(٤) الذخيرة في حاسن أهل الجزيرة ، ق١ ج١ ص٢٢٦

(٥) من الأقوال النبوية التي تجري مجرى المثل: ورد في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَمِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَمِنْ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَمِنْ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ»، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ هُوَ الرُّجُوعُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ، أَوْ مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى المَعْصِيَةِ، والرُّجُوعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّرِّ. سنن الترمذي (٣٤٣٩)

(٦) قَوْلهم: الْحق أَبْلَج وَالْبَاطِل لجلج، مثل يُرَاد بِهِ أَن الْحق منكشف وَالْبَاطِل ملتبس. جمهرة الأمثال للعسكري، ج١ص٣٦٤، مجمع الأمثال للميداني، ج١ص٢٠٧

من ساء سمعاً ساء إجابة[١]... إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً[٢] ، ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة[٣] "[٤].

وكذلك في مفاخرة القلقشندي احتج السيف على القلم بأنه الأقوى والأفضل مستعيناً في ذلك بجملة من الأمثال التي وظفها في خطابه الساخر من القلم مشبهًا نفسَه بالأسد تارة والنّسرِ أخرى ومشبهًا القلمَ بالثعلبِ تارة والبغاثِ أخرى، فقال: " **إنّا لله! لقد استأسدت الثّعالب، واستنسرت البُغاث[٥] فعدّ العصفور نفسه من طير الواجب، وجاء الغراب إلى البازيّ يهدّده... يظنّني الجائز في الشّرق نجمًا طالعًا؛ فالشّمس من شعاعي في خجل، واللّيل من ضوئي في وجل، وما أسرعت في طلب ثار إلا قيل: «فات ما ذبح» و «سبق السّيف العذل[٦]»**"[٧].

ورد عليه القلم مبطلًا حججه مستعيناً في ذلك بالمثل النبوي في بيان أنه يتباهى بما لا يملك ويفتخر بما ليس فيه كمن يلبس ثوبي زور، فقال: " **برّق**

---

(١) قولهم: أَسَاءَ سَمْعاً فأَساءَ جَابَةً، مثل معروف مشهور. مجمع الأمثال للميداني، ج١ص٣٣٠

(٢) قَوْلهم: إن كنت ريحًا فقد لاقيت إعصاراً، يضْرب مثلا للقوي يلقى أقوى مِنْهُ، والإعصار الرّيح الشَّدِيدَة تثير الْغُبَار حَتَّى يتَصَعَّد فِي السَّمَاء. الأمثال لأبي عبيد، ص ٩٦، جمهرة الأمثال للعسكري ، ج١ص٣١، مجمع الأمثال للميداني، ج١ص٣٠

(٣) مَا كُلُّ بَيْضَاء شَحْمَةً، ولاَ كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةً: يعنى أنه وإن أَشْبَهَ أباه خَلْقاً فلم يشبه خُلُقاً، فذهب قوله مثلاً. يضرب في موضع التهمة. مجمع الأمثال، ج٢ص٢٨١

(٤) ينظر. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق١ ج١ ص٢٢٧ – ٢٢٨

(٥) قَوْلهم: البغاث بأرضنا يستنسر، مثل يضْرب مثلا للعزيز يعز بِهِ الذَّلِيل، والبغاث صغَار الطير الْوَاحِدَة بغاثة، يستنسر أَي يصير نسراً فَلَا يقدر على صَيْده . جمهرة الأمثال، ج١ص٢٣١

(٦) مثل يقال لمن يريد أن يغير أمرًا قد وقع حتمًا. جمهرة الأمثال، ج١ص٥١١، مجمع الأمثال، ج١ص٣٢٨

(٧) صبح الأعشى، ج١٤ ص٢٣٦

لمن لا عرفك، وروّج على غير الجوهريّ صدفك... ومن تشبّع بما لم يعط فهو كلابس ثوبي زور[١]" [٢].

وقد تميز القلقشندي على ابن برد في استعانته بالشعر وتوظيفه في سياق احتجاج السيف والقلم على فضائلهما وذِكر مناقبهما؛ لما للشعر من ثراء فكري وعاطفي يكثّف المعنى ويقويه، ومن ذلك: " **قال القلم... أديرُ في القرطاس كاسات خمري ... وأنفث فيه سحر بياني فألعب بالألباب وأستجلب الخواطر، وأنفذ جيوش سطوري على بعد فأهزم العساكر:**

فلكم يفلّ الجيش وهو عرمرم والبيض ما سلّت من الأغماد![٣]

فقال السّيف: أطلت الغيبة، وجئت بالخيبة، وسكتّ ألفا، ونطقت خلفا.

السّيف أصدق أنباء من الكتب في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب[٤]"[٥]

وبذلك يمكننا القول: إن الكاتبين أجادا توظيف النص الديني والأدبي في سياق الاحتجاج والإقناع على لسان السيف والقلم، حيث حاول كل منهما إثبات فضله ودحض حجج خصمه مستعيناً بالنص التراثي.

---

(١) هذا المثل مأخوذ من الحديث النبوي عن أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم قال: "المُتشبِّعُ بما لم يُعْطَ كلابسِ ثَوبَي زور" سنن أبي داود (٤٩٩٧).

(٢) صبح الأعشى، ج١٤ ص٢٣٦

(٣) البيت من (الكامل) وينسب لأبي سعيد الآلوسي (المؤيد بن عطاف ت ٥٥٧ه)، معجم الأدباء، ج٦ص٢٧٣٨، وفيات الأعيان، ج٥ص٣٤٤

(٤) البيت من (البسيط) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، ج١ص٤٠

(٥) صبح الأعشى، ج١٤ ص٢٣٤

(٤) التشابه في إبراز الثنائية والمفارقة في لغة الخطاب بين السيف والقلم

يلاحظ في مضمون المفاخرتين أنهما يتشابهان تشابهًا واضحًا في إظهار التباين والاختلاف في لغة الخطاب بين السيف والقلم، فكل منهما يعكس طبيعة صاحبه، فالسيف رمز للجند أصحاب القوة والسلطة والبأس، ولهذا نلاحظ في خطاب السيف ما يلي:

- **ارتفاع حدة (الأنا)**، فهو " رمز القوة، ولا نجد في كلامه –كلما تكلم– إلا وجوهًا من هذا الاكتفاء بالذات، والوعي بالقيمة الكبرى، والتصرُّف وفقًا لمنطق العنف، والاعتداد بالبأس الشديد، وهذه صفات أتاحت له أن يخاطب القلم باحتقار كبير، وامتهان شديد، كثيرًا ما يتجاوز حدود الأدب إلى الشتم الصريح، والسباب المقذع"[١] ، فقد بدا حانقًا غاضبًا، شديد اللهجة، حاد المزاج.

- ويُلاحظ أيضًا في خطاب السيف **الحرص والتأكيد على المنازع والأمور المادية** الملوسة، والمسائل البينة، والصفات المجسدة التي لا يكاد يختلف على حقيقتها اثنان، ومن الأمثلة على لغة الخطاب عند السيف:

في مفاخرة ابن برد خاطب السيفُ القلمَ قائلًا: " **أمستعرب والفلس ثمنك؟! ومستجلب وكل بقعة وطنك! جسم عارٍ، ودمع بار، تحفى فتنعل برياً، حتى يعود جسمك فيّا، إن الملوك لتبادر إلى دركي، ولتتحاسد في ملكي، ولتتوارثني على النسب، ولتغالي في على الحسب؛ فتكللني المرجان، وتنعلني العقيان، وتلحفني بخلل كحلل، وحمائل كخمائل، حتى أبرز براز**

(١) النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري: علي بن محمد، ج٢ص٥٨٨

الهندي يوم الجلاء، والروض غب السماء"[١]. وقال أيضًا: " وجه لئيم، وجسم سقيم، وغرب يُفَلّ، ودم يُطَلّ، ودموع سجام، كأنهن سخام، ورأس يتقلقل فيه لب، وجوف لم يتخضخض فيه قلب، أوحش من جوف العير، يشهد عليه كثرة الجور بقلة الخير. فَهُبَّ من نومك، وأفطر من صومك، وتحكم بطرف نظار، في جسم ماء وحلة نار. إن انتضاني جاهل، أوهمته أني سائل، ففر خوفاً أن يغرق، وولي حذراً أن يحترق؛ في بحر زبده الشعل، وبرق سحابه الخِلل. لو انتضيت والشمس كاسفة لم يُنظر وقت تجليها، أو السنون مجدبة أيقن بالحَيَا راعيها"[٢].

وفي مفاخرة القلقشندى خاطب السيفُ القلمَ قائلًا: " أنّى لك بمساجلتي، ومقاومتي في الفخر ومنافرتي؟؛ مع عري جسمك ونحافة بدنك، وإسراع تلافك وقصر زمنك، وبخس أثمانك على بعد وطنك، وما أنت عليه من جري دمعك، وضيق ذرعك، وتفرّق جمعك، وقصر باعك، وقلّة أتباعك"[٣]. وقال أيضًا:" لقد استأسدت الثّعالب، واستنسرت البغاث فعدّ العصفور نفسه من طير الواجب، وجاء الغراب إلى البازيّ يهدّده، ورجع ابن آوى على الأسد يشرّده؛ فلو عرفت قدر نفسك، ولزمت في السّكينة طريق أبناء جنسك، ووقفت عند ما حدّ لك، وذكرت عجزك وكسلك، لكان أجدر بك، وأحمد لعاقبتك، وأليق بأدبك. إن الملوك لتعدّني لمهمّاتها، وتستنجد بي في ملمّاتها، وتتعالى في نسبي، وتتغالى في حسبي، وتتنافس في قنيتي وتتحاسد، وتجعلني عرضة لأيمانها فتتعاقد بالحلف عليّ وتتعاهد، وتدّخرني في

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام ، ق١ ج١ ص٥٢٤
(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام ، ق١ ج١ ص٥٢٧
(٣) صبح الأعشى: القلقشندي، ج١٤ص ٢٣٥

خزائنها ادّخار الأعلاق، وتعدّني أنفس ذخائرها على الإطلاق، فتكلّلني الجواهر، وتحلّيني العقود فأظهر في أحسن المظاهر"[(١)].

فإذا انتقلنا إلى لغة الخطاب عند القلم فإننا نجد مفارقة كبيرة بين القلم والسيف في لغة الخطاب، وكأن الكاتبين تعمدا ذلك وقصدا إلى ذلك قصدًا؛ لإظهار القلم وإبرازه في الصورة الفضلى والمثلى؛ لأنه يرمز إليهما – في المقام الأول–، ويُلاحظ على لغة القلم ما يلي:

– القلم في خطابه لم يواجه حدة السيف وشدة لهجته بمثلها، بل كانت لغته هادئة منضبطة.

– نجد في لغة الخطاب عند القلم جانبًا روحيًا بارزًا لا تخطئه العين، فهو إذا مدح نفسه وأثنى عليها مدحها في هذا الجانب، وفي المقابل إذا هجا السيف وذمّه وانتقصه فإنه لم يهتد إلى أفضل من ذِكر نقص هذه الجوانب الروحية لديه، وافتقاره إلى هذه الجوانب المثالية، ومن الأمثلة على ذلك:

في مفاخرة ابن برد خاطب القلمُ السيفَ قائلًا: " **أيها المسائل بدءاً يعقل لسانك، ويحير جنانك، وبديهة تملأ سمعك، وتضيق ذرعك. خير الأقوال الحق، وأحمد السجايا الصدق. والأفضل من فضله الله عز وجل في تنزيله، مقسماً به لرسوله ، فقال: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) ، وقال: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) فجلّ من مقسم، وعزّ من قسم، فما تراني، وقد حللت بين جفن الإيمان وناظره، وجلت بين قلب الإنسان وخاطره ؟ – لقد أخذتُ الفضل بِرُمَّتِه، وقدتُ الفخر بأزمته... إن كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً. ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة. إن ماءك السائل الجامد،**

(١) السابق، ج١٤ص٢٣٦

وإن جِرمك الملتهب لبارد، ولن يغرق فيه حتى تكرع في السباسب العطاش، ولن يحترق به حتى يقع في نار الحباحب الفراش، فأقصر عن جفنك من العمى رواقاً، واحلل من خصرك للجهل نطاقاً"(١).

في مفاخرة القلقشندي خاطب القلمُ السيفَ قائلًا: "إني لأوّل مخلوق بالنّص الثابت والحجّة القاطعة، والمستحقّ لفضل السّبق من غير منازعة؛ أقسم الله تعالى بي في كتابه، وشرّفني بالذّكر في كلامه لرسوله وخطابه، فقال جلّ من قائل: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)(٢) ، وقال جلّت قدرته: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)(٣)، فكان لي من الفضل وافر القسمة، وخصصت بكمال المعرفة فجمعت شوارد العلوم وكنت قيّم الحكمة"(٤). وقال أيضًا: "مهلا أيّها المساجل، وعلى رسلك أيها المغالب والمناضل؛ لقد أفحشت مقالا، ونمّقت محالا، فغادرتك سبل الإصابة، وخرجت عن جادّة الإنابة، وسوّت سمعا فأسأت جابة؛ إنّي لمبارك الطّلعة وسيمها، شريف النّفس كريمها، آخذ بالفضائل من جميع جهاتها، مستوف للممادح بسائر صفاتها؛ فطائري ميمون، وغولي مأمون، وعطائي غير ممنون؛ أصل وتقطع، وأعطي وتمنع، وتفرّق وأجمع؛ وإنّ ازدراءك بي من الكبر المنهيّ عنه، وغضّك عنّي من العجب المستعاذ منه؛ ومن حقّر شيئا قتله، ومن استهان بفاضل فضله"(٥).

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام ، ق١ ج١ ص ٥٢٤-٥٢٥

(٢) سورة القلم : ١-٢

(٣) سورة العلق ١-٣

(٤) صبح الأعشى: القلقشندي، ج١٤ص ٢٣٣

(٥) صبح الأعشى: القلقشندي، ج١٤ص ٢٣٥

- **التشابه في ختام المفاخرتين**

تشبه مفاخرةُ القلقشندي في ختامها مفاخرةَ ابن برد، وأبرز ما نلاحظه في ختام المفاخرتين أن الكاتبين لم يختما المفاخرتين مباشرة، بل تدرجا في الختام، وبيان ذلك فيما يلي:

(١) صنع الكاتبان ما يشبه (**العقدة**) في العمل الروائي، حيث وصل السيف والقلم إلى نقطة معقدة متشابكة، لم يجد فيها أحدهما على الآخر سبيلًا، ولم يعترف أحدهما للآخر بفضل، **فكان لابد لهذه العقدة من حل**، فقررا بعد طول مجادلة ومعارضة أن يبرما هدنة، ويعقدا صلحًا يتولى أمرَه وكتابَته القلمُ.

(٢) **في سبيل الوصول إلى الحل اتفق السيف والقلم في المفاخرتين على أن يكون بينهما حكم**؛ ليتحاكما إليه وينصاعا لأمره؛ فيظفرا بكمال الرفعة وزيادة الشرف، وليس هذا الحكم سوى الممدوح المخاطَب في المفاخرتين، **وبذلك أصبح الصلحُ بين السيف والقلم تمهيدًا للغرض الرئيس من المفاخرة** وهو المدح، فجمع الكاتبان لممدوحيهما كل ما يمكن أن يُمدَح به من كان في مثل منزلتهما، وحشدا لهما النعوت والألقاب التي تناسب رتبتهما.

(٣) ختم القلقشندي مفاخرته بأبيات من نظمه تشابهت تقريبًا مع الأبيات التي نظمها ابن برد مفاخرته في: الوزن، والروي، والمعنى، والمبنى، حيث تضمنت الإشارة إلى فضل السيف والقلم، وبيان منزلتهما، والإشادة بالممدوح، فالغرض من المفاخرتين هو الذي صنع هذا الختام الجيد للمفاخرتين.

الخاتمة

مما سبق يمكن القول: إن الفضل في ظهور المفاخرات النثرية بين السيف والقلم يعود إلى الأندلسيين الذين نقلوا هذا النوع من المفاخرات من المنظوم إلى المنثور، ويُعد ابن برد الأصغر صاحب المبادرة والسبق إلى ذلك، وتبعه كثير من الأدباء المشارقة منهم: أبو العباس القلقشندي الذي شابهت مفاخرتُه مفاخرةَ ابن برد، وقامت هذه الدراسة على دراسة المفاخرتين معًا، وتحليلهما، في سبيل الوقوف على أوجه الشبه والمفارقة بينهما، وحصرت الدراسة بعض أوجه الشبه بينهما في: البناء الفني، والمضمون، والألفاظ والتراكيب، والهدف منهما والغاية التي سعى الكاتبان نحو تحقيقها عن طريق التأثير في المخاطَب؛ لتغيير موقفه: العاطفي، والفكري، والسياسي تجاه أصحاب القلم، ويضاف إلى ما سبق: اعتماد المفاخرتين على الرمزية والخطاب المضمر، وسيطرة النزعة الذاتية للكاتبين على المفاخرتين، حيث آثرا القلم وقدماه على السيف في بداية المفاخرة، وجعلاه الأفضل في لغة الخطاب، والأسبق إلى الصلح في ختامها.

المصادر والمراجع

* الأمثال: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ت ٢٢٤هـ، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
* الأعلام: خير الدين الزركلي ت ١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين، الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.
* أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري: فايز عبد النبي القيسي، دار البشير، عمان- الأردن، الأولى، ١٤٠٩ه-١٩٨٩م.
* أدب الكتاب: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ت٣٣٥هـ، تحقيق وتعليق: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية بمصر، المكتبة العربية ببغداد، ١٣٤١ه.
* أبو العباس القلقشندي أديبًا: أحمد عبد الرحمن محمد الذنيبات، ماجستير، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠١م
* أبو الجيش مجاهد العامري أمير دانية والجزائر الشرقية: عبد الكريم خيطان، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد٨٩، ٢٠٠٩م.
* إنباء الغمر بأبناء العمر: ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٨٦م
* استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية دلالية : عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الأولى، ٢٠٠٣م
* ابن برد الأصغر " عصره، سيرته، ما بقي من شعره": إبراهيم عبد وهيب، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد ١٨، العدد ١٠، ٢٠١١م.
* البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي ت نحو ٤٠٠هـ، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر – بيروت، الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

* بلاغة العرب في الأندلس: أحمد ضيف، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة- تونس، الثانية، ١٩٩٨م.
* التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار القضاعي البلنسي ت ٦٥٨هـ، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
* تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، إحسان عباس ت ١٤٢٤هـ، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ١٩٧٨م.
* تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية: محمود مقداد، دار الفكر المعاصر، بيروت، الأولى، ١٩٩٣م.
* تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية " دراسة في الأهداف والوسائل" : حمدي منصور جودي، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد ٢١، ٢٠١٧م
* تحليل الخطاب: هند بنت حامد الحازمي، مجلة القراءة والمعرفة، مصر، العدد ١٨١، نوفمبر ٢٠١٦م.
* جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: محمد بن فتوح الحَمِيدي ت ٤٨٨هـ، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، ١٩٦٦ م.
* جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري ت نحو ٣٩٥هـ، دار الفكر – بيروت
* الحجاج وآلياته في المناظرات الأدبية بالأندلس (السيف والقلم نموذجًا): أمنية شكشاك وسارة بن حميمد، ماجستير، جامعة محمد الصيدق بن يحيى، الجزائر، ١٤٤٠ه-٢٠١٩م
* الدر الفريد وبيت القصيد : محمد بن أيدمر المستعصمي ت ٧١٠ هـ، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
* ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الثالثة، ١٤١٦ه-١٩٩٦م

* ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلي) ت٦٨هـ، دراسة وتعليق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
* ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى) ت٦٨هـ، اعتنى بـه وشـرحه: عبـد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت.
* ديوان ابن الرومي ت ٢٨٣هـ، شرح. أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الثالثة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
* ديوان أبي الفتح البستي ت ٤٠٠هـ، تحقيق. درية الخطيب ولطفي الصقال، منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
* ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق. محمد عبده عـزام، دار المعارف، مصر، الخامسة.
* ديوان البحتري ت ٢٨٤هـ، تحقيق. حسين كامل الصيرفي، دار المعـارف، مصر، الثالثة.
* ديوان المعاني: أبو هلال العسكري ت٣٩٥هـ، دار الكتب العلمية، بيـروت، الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
* ديوان الشريف الرضي ت ٤٠٦هـ، تحقيق. محمود مصطفى محلاوي، دار الأرقم، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م
* ديوان البارودي: محمود سامي البارودي ت١٩٠٤م، حققه. علي الجـارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، ١٩٨م
* الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبو الحسن علي بن بسـام الشـنتريني ت٥٤٢هـ، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس.
* الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: محمد بن محمد بن عبـد الملـك الأنصاري المراكشي ت ٧٠٣ هـ، حققه وعلق عليه: إحسـان عبـاس، ومحمد بن شريفة، وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تـونس، الأولى، ٢٠١٢ م

* الرموز في " الفن – الأديان – الحياة ": فيليب سيرنج، ترجمة. عبد الهادي عباس، دار دمشق – سورية ، الأولى، ١٩٩٢م
* رسالتان لأحمد بن برد الأصغر: فرناندو دي لاجرانخا، ترجمة. عبد اللطيف عبد الحليم، مجلة المورد العراقية، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، ربيع ١٩٨٨م
* السلوك لمعرفة دول الملوك: أحمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥هـ، تحقيق. سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، مركز تحقيق التراث، مصر، ١٩٧٢م.
* سنن أبي داود: أبو داود ت ٢٧٥هـ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م
* سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي ت ٢٧٩هـ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرَين، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م
* سيمياء العنوان: بسام موسى قطوس، وزارة الثقافة، عمان- الأردن، الأولى، ٢٠٠١م.
* شرح ديوان المتنبي ت٣٥٤ه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٤٠٧ه-١٩٨٣٦م.
* الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ت ٥٧٨ هـ، عني بنشره وصححه: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الثانية، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م.
* صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٢١هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤٣٠ه-١٩٢٢م.

* صراع السيف والقلم ودلالته في الشعر العباسي "تحليل ثقافي": إبراهيم بن محمد أبانمي، مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثامن والثلاثون، ١٤٣٧ه
* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين السخاوي ت ٩٠٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الأول.
* الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلويّ الطالبي ت ٧٤٥هـ، المكتبة العنصرية، بيروت، الأولى، ١٤٢٣ هـ.
* العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤٠٤ هـ.
* العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
* عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: بدر الدين العينى ت ٨٥٥هـ، تحقيق. عبد الرزاق الطنطاوي القرموط، مطبعة علاء الدين، القاهرة، ١٤٠٦ه-١٩٨٥م.
* عن التحليل البلاغي للخطابات : محمد مشبال، مجلة فصول، مصر، العدد ٩٧، ٢٠١٦م.
* فن المناظرات الخيالية في العصر العثماني دراسة مقارنة بالفنون الأدبية الأخرى: زينب محمد صبري، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، المجلد ١٥ العدد ٣٠، ٢٠١١م.
* لسان العرب: جمال الدين ابن منظور ت ٧١١هـ، دار صادر – بيروت، الثالثة – ١٤١٤ هـ.
* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير ٦٣٧هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

* المواضع الحجاجية في المفاخرات الخيالية في النثر العربي ودورها في عملية الإقناع: حيدر جاسم وعرفات فيصل المناع، مجلة آداب البصرة، العدد ٩٠، ٢٠١٩م.
* المناظرات الخيالية في أدب المشرق والمغرب والأندلس دراسة نقدية: رغداء ماردين، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م.
* معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب": ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت٦٢٦هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
* مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس الفتح ابن خاقان الإشبيلي، حقيق: محمد علي شوابكة، دار عمار - مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
* مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني ت ٥١٨هـ، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان
* مناظرتان بين السيف والقلم: تحقيق. هلال ناجي، مجلة المورد العراقية (عدد خاص عن الفكر العسكري عن العرب)، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، شتاء ١٩٨٣م.
* مناظرة السيف والقلم في ثلاث رسائل تراثية " دراسة أدبية " جابر بن بشير المحمدي، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، المجلد ٢٨، العدد الأول، ٢٠١٥م
* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤هـ، تحقيق. محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٩٢م.

* النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية: عمارة بن علي بن زيدان الحكمي ٥٦٩هـ، اعتنى بتصحيحه: هرتويغ درنُبرغ، مطبعة مَرْسَوْ بمدينة شالَوْن – باريس، ١٨٩٧ م
* النثر الفني الأندلسي في عصر الخلافة الأموية ٣٧٧-٤٢٢ه: منال سالم العقباني، دكتوراه، إشراف. أد. صلاح جرار، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨م.
* النثر الأندلسي في القرن الخامس الهجري "مضامينه وأشكاله" : علي بن محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٩٩٠م.
* نيل الأمل في ذيل الدول: زين الدين ابن شاهين الظاهريّ الملطيّ ت ٩٢٠هـ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.
* هوية العلاقات في العتبات وبناء التأويل: شعيب حليفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الأولى، ٢٠٠٤م.
* الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤هـ، ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٨٥٩
٢-	Abstract	٨٦٠
٣-	المقدمة	٨٦١
٤-	تمهيد : علاقة السيف بالقلم في التراث الأدبي	٨٦٦
٥-	المبحث الأول: علاقة المرسِل بالمرسَل إليه وأثرها في المفاخرتين	٨٧١
٦-	المبحث الثاني : البنية الشكلية للمفاخرتين (المقدمة – المضمون – الخاتمة)	٨٨٥
٧-	المبحث الثالث : أوجه المشابهة بين مفاخرة ابن برد ومفاخرة القلقشندي	٩٠٨
٨-	الخاتمة	٩٢٦
٩-	المصادر والمراجع	٩٢٧
١٠-	فهرس الموضوعات	٩٣٤